دكتور
مصطفى صالح الأزرق

علم النفس الاجتماعي

اتجاهات نظرية ومجالات تطبيقية



علم النفس الاجتماعي

اتجاهات نظرية ومجالات تطبيقية

تأليف

الدكتور/ مصطفى صالح الأزرق

أستاذ مساعد بجامعة الزيتونة

(ناصر) سابقًا

الطبعة الأولى

1434هـ/ 2013م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة

ت: 22752794 – فاكس: 22752735

6 أ شارع جواد حسني – ت: 23930167

www.darelfikrelarabi.com

info@darelfikrelarabi.com

٣٠١,١ مصطفى صالح الأزرق.
م ص ع ل علم النفس الاجتماعى: اتجاهات نظرية ومجالات تطبيقية/ تأليف مصطفى صالح الأزرق. - القاهرة: دار الفكر العربى؛ ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.
١٥٢ ص؛ ٢٤سم.
ببليوجرافية، ص١٤٩-١٥١.
تدمك: ٨-٢٧٩٤-١٠-٩٧٧.
١- علم النفس الاجتماعى. ٢- السلوك الاجتماعى الإنسانى. ٣- التنشئة الاجتماعية. ٤- الشائعات. ٥- الحرب النفسية. ٦- سيكولوجية التعصب. أ- العنوان

جمع إلكترونى وطباعة



الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
ر دمك: 978-9959-1-1055-8
رقم الإيداع: 2012/477

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿... وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء]

الإهداء

إلى محبي العلم والساعين من أجله.....

إلى كل من أسهم في وضع لبنة فيه.....

إلى كل من يتشوق لنشوة العلم ويتحمل متاعبه.....

أهدي..... ثمرة جهدي..... وعصارة فكري

المؤلف

المحتويـــــــات

الموضوعات	الصفحة

الفصل الأول
علم النفس الاجتماعي

الفصل الثاني

السلوك الاجتماعي الإنساني- أهميته مكوناته وعوامله والاتجاهات النظرية المفسرة له

الفصل الثالث

التنشئة الاجتماعية: تعريفاتها- العوامل المؤثرة فيها

الفصل الرابع

الشائعات: أهدافها وخصائصها- أنواعها ودوافعها

ومراحل انتشارها وكيفية مواجهتها

الفصل الخامس

الحرب النفسية: أهدافها وأنواعها- مراحل التخطيط لها وطرق أساليبها والوقاية منها

الفصل السادس

سيكولوجية التعصب

مقدمة

لا يشك أحد في أن السلوك الإنساني هو نتاج عدد من العوامل المتداخلة فيما بينها والمتفاعلة فيه بحيث تؤدي إلى تشكيل سلوك الفرد وتساعد على ظهوره كاستجابة لمواقف الحياة التي يتعرض لها الفرد وتؤثر في سلوكه وتصرفاته مع نفسه - ومع أن هذا السلوك في دافعه فردي إلا أنه في حقيقته متأثر بالظروف الاجتماعية أو البيئية أو حتى الرحمية التي تتدخل في تكوينه ونشأته منذ لحظة إخصاب البويضة، بحيث تجعله متأثرًا بالعوامل الوراثية التي تدخلت فيه وجعلته مختلفًا عن غيره في مستويات كثيرة من حيث التفكير والمهارات والقدرات والانفعالات والعواطف، وهذا يعني أن الفرد والمجتمع يشكلان وحدة متكاملة الأجزاء يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به، ولا يعني بأي حال أنهما متضادان أو مختلفان إلا من حيث الشكل أو المظهر العام، وهذا ما جعل الأنا الفردية أنا اجتماعية في صميمها وجوهرها بحسب آراء عالم الاجتماع كولي.

فالفرد رغم أنه يملك ذات فردية يحس بها ويشعر بوجودها في نفسه، إلا أن هذه الذات متأثرة بذوات الآخرين ومتفاعلة معهم، وقد لا يحس الفرد بها، ولكنه في مواقف كثيرة يتصرف في أغلب الأحيان بحسب ذوات الآخرين وشعورهم نحوها، وقد تكون تصرفاته متأثرة بما يتصوره عن الآخرين وما يعتقده الآخرون نحوه. ولهذا يصعب فصل شخصية الفرد عن مجالها الاجتماعي التي تنمو فيه وتتأثر بمكوناتها فكل موضوعات السلوك الاجتماعي التي يطرحها علم النفس الاجتماعي ضمن حدود مجاله هي موضوعات ذات دلالات نفسية واجتماعية تعكس شروط التفاعل القائم بين الفرد والآخرين، ولا يمكن فهم سلوك أي منهما منفصلا دون الآخر.

ومن هنا فإن دراسة سلوك الفرد بعيدًا عن سلوك الآخرين هي فكرة غير واقعية كما أن دراسة سلوك الجماعات أو المجتمعات بعيدًا عن سلوك أفرادها هي الأخرى فكرة غير واقعية فلا وجود لسلوك فرد بدون مؤثرات اجتماعية.

فالفرد الإنساني منذ مولده يعيش في وسط جماعة ويتفاعل معها ويتأثر بمكوناتها، كما أنه في الوقت نفسه يؤثر فيها ويعدل من سلوكها وتصرفاتها ولا يستطيع العيش بمفرده لعدم قدرته على تلبية احتياجاته واستحالة حياته بنفسه.

ومن هنا فإن علم النفس الاجتماعي هو أداة الربط ووسيلة التقارب بين كل من علم النفس وعلم الاجتماع الذي يجمع بين العلمين ولا يفرق بينهما. فعلم النفس يدرس سلوك الفرد بجوانبه المتعددة وعلم الاجتماع يدرس سلوك الجماعة أما علم النفس الاجتماعي فهو يدرس سلوك الفرد من حيث تأثره بسلوك الجماعة وتأثر سلوك الجماعة به وهو بذلك يعتبر نقطة تلاقي العلمين وتقاربهما.

يطمح هذا الكتاب في تحقيق هدف مهم هو أن سلوك الفرد يقع ضمن دائرة سلوك الجماعة وتأثيراتها ولا يمكن فهمه بمعزل عن سلوك الآخرين وتأثيراتهم، وبذلك فإن السلوك الاجتماعي الذي يقع ضمن مجال علم النفس الاجتماعي هو محصلة عدد من العوامل الفردية والاجتماعية التي تكون السلوك وتنشئه.

ووفقًا لهذا الاتجاه فقد قسم المؤلف الكتاب إلى ست فصول مترابطة اهتم **الفصل الأول** بتعريف علم النفس الاجتماعي وأهميته في مجالات الحياة المختلفة ثم استعرض نشأة تاريخ بداية هذا العلم وتطوره عبر المراحل الزمنية المتعاقبة التي أسهمت في ظهوره وتطوره حتى وصل إلى مرحلته العلمية في عصرنا الحالي ثم بين العلاقة التي تربطه بالعلوم النفسية والعلوم الاجتماعية وموقع هذا العلم بين التخصصات المذكورة ثم تطرق إلى تحديد الموضوعات التي يدرسها علم النفس الاجتماعي وتدخل ضمن مجال تخصصه.

وفي الفصل الثاني تناول المؤلف السلوك الاجتماعي الإنساني ومفهومه وكيفية اكتسابه وأهميته ومكوناته الأساسية وتطرق إلى عوامله المؤثرة فيه كما أوضح العلاقة التي

تربطه بالسلوك الحيواني ومن ثم استعرض عدد من الاتجاهات النظرية المفسرة للسلوك الاجتماعي الإنساني لدى بعض العلماء.

أما الفصل الثالث فقد خصص لموضوعات التنشئة الاجتماعية من حيث مفهوم التنشئة وتعريفاتها والعوامل المؤثرة فيها وتطرق الفصل إلى مؤسسات التنشئة المباشرة وغير المباشرة باعتبارها تشكل أهم ركائز السلوك الاجتماعي التي يستقصى منها الأفراد سلوكهم وتصرفاتهم.

وقد جاء **الفصل الرابع** متضمنًا الجوانب التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي إذ اهتم بسيكولوجية الشائعات موضحًا تعريف الشائعة ومتطرقًا إلى الأهداف الإيجابية والسلبية لنشر الشائعات ومن ثم خصائصها ومراحل انتشارها على مستويات متعددة وبين أنواعها وتصنيفاتها المختلفة وأعقب الفصل بأسباب ودوافع نشر الشائعات ثم استعرض طرق مقاومة الشائعات وكيفية مواجهتها والتغلب عليها.

وجاء **الفصل الخامس** مهتمًا بالحرب النفسية من حيث تعريفها وأهدافها وأنواعها المختلفة وكيفية الإعداد والتخطيط لقيامها ضمن مراحل مختلفة، كما استعرض الفصل طرق وأساليب الحرب النفسية مبينًا تعدد الأساليب التكتيكية واختلاف مجالاتها التي تستخدم فيها ثم ذيل الفصل بأهم سبل الوقاية منها على المستويات المتعددة وإعادة تقويم خطة الحرب النفسية لمعرفة نجاح الخطة أو فشلها.

وقد اهتم **الفصل السادس** بسيكولوجية التعصب موضحًا فيها تعريف التعصب وكيفية اكتسابه في الوسط الاجتماعي الذي يعيشه المتعصب، ومن ثم تطرق الفصل إلى علاقة التعصب ببعض المفاهيم ذات الصلة به كمفهوم التعصب والتمييز والعصبية والعدوان والعنف، وغيرها، ثم تطرق إلى مكونات التعصب الثلاثة وجاء شارحًا لآراء العلماء واتجاهاتهم نحو نشأة التعصب ونظرياته المختلفة. وقد تطرق أيضًا إلى عوامل التعصب وأسبابه المتعددة ومن ثم اختتم الفصل بالآثار النفسية والاجتماعية للتعصب على كافة المستويات الفردية والاجتماعية وانتهى بوضع بعض الحلول التي تقاوم التعصب وتقضي على أسبابه ومنطلقاته الأساسية.

وفي الختام يأمل المؤلف أن يجد الطالب المتخصص والباحث المهتم ما يسعى إليه ويسد نهمه في الموضوعات التي تطرق إليه هذا الكتاب ويقبل بكل نفس راضية آراء وتوجيهات السادة المتخصصين التي تعينه على تقويم هذا الكتاب ليأتي في صيغة متكاملة في طبعات لاحقة عسى الله أن ينفع الجميع لما فيه خير البلاد والعباد، ونقول إن وفقت فإن ذلك من الله وإن أخفقت فإن ذلك من نفسي والله المستعان.

المؤلف

د. مصطفى صالح الأزرق

الفصل الأول

علم النفس الاجتماعي

علم النفس الاجتماعي:

هو فرع من فروع علم النفس العام يتناول سلوك الأفراد والجماعات خلال تفاعلهم في المواقف الاجتماعية المختلفة، كما يهتم بدراسة العوامل المؤثرة في التفاعل الناشئ بين الأفراد والجماعات والعمليات النفسية التي تحدث خلال ذلك وما يترتب عنها من اكتساب للقيم والاتجاهات ومعايير السلوك المختلف الذي ترضي أو لا ترضى عنه الجماعة.

ويحدث السلوك الاجتماعي من خلال الرموز المكتوبة والإعلانات...إلخ التي تحدث مثيرات اجتماعية تؤدي إلى سلوك اجتماعي معين.

تعريف علم النفس الاجتماعي:

تعددت تعريفات علم النفس الاجتماعي وتنوعت مضامينه بتنوع وجهات النظر المختلفة، وفيما يلي بعض من تلك التعريفات:

- هو العلم الذي يدرس السلوك الاجتماعي الذي تشكله المواقف الاجتماعية مع الغير.
- هو الدراسة العلمية لسلوك الفرد في إطار اجتماعي يتفاعل فيه مع الغير.
- هو الدراسة العلمية لسلوك الكائن الحي ككائن اجتماعي.
- هو العلم الذي يتناول دراسة سلوك الإنسان في جماعة.
- هو الدراسة العلمية لخبرة الفرد وسلوكه في علاقته بالمواقف الاجتماعية.
- هو الدراسة العلمية لسلوك الإنسان في المجتمع.
- هو العلم الذي يدرس الطريقة التي يتأثر بها سلوك وشعور وتفكير الفرد بسلوك أو خصائص الآخرين.
- هو العلم الذي يختص بسلوك الفرد في نطاق أي جماعة ينتمي إليها على أسس تجريبية.

- هو العلم الذي يهتم بالدراسة العلمية المنظمة لسلوك الفرد في الجماعة وما يحدث بينهما من تفاعل في المواقف الاجتماعية المختلفة.

يتضح من خلال التعريفات المذكورة أنها تتفق في الآتي:

أ- الدراسة العلمية:

وهي تعني الدراسة المنظمة التي تستند إلى المنهج التجريبي الذي يتطلب الملاحظة والفرضيات والتجريب والقياس والاستنتاجات.

ب- السلوك:

يعني السلوك دراسة أي تغير في مستوى النشاط الحركي أو العقلي أو الانفعالي في وقت معين يصدر عن الكائن الإنساني نتيجة للتفاعل مع الآخرين.

جـ- المواقف الاجتماعية:

هي المثيرات التي تحيط بالفرد الإنساني وتؤثر فيه.

د- التفاعل:

هي عملية التأثير المتبادل الذي يحدث بين الفرد والجماعة فيؤدي إلى تأثير كل منهما في الآخر.

هـ- الاجتماعي:

وهي تعني العلاقة التي تقوم بين فرد وآخر وينتج عنها سلوك محدد.

أهمية علم النفس الاجتماعي في مجالات الحياة:

إذا كان علم النفس الاجتماعي يهتم بدراسة السلوك الاجتماعي في إطار تفاعل الفرد مع غيره، فإن مجالات الحياة التي يحياها الفرد ويتفاعل فيها مع الآخرين عديدة وهي:

أ- أهمية علم النفس الاجتماعي بالنسبة للفرد:

إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده لذلك فهو مضطر للحياة مع الآخرين حفاظاً على أمنه ووجوده، وهو في هذا الوجود يتفاعل مع الآخرين ويتأثر بهم.

وتنشأ بينهم علاقات اجتماعية متعددة "إيجابية وسلبية"تؤثر في نفسه وتوجه سلوكه بحسب شدة المواقف وتأثيراتها فيه، لذلك فإن سلوك الفرد يكون نتاج البيئة التي يعيشها ويتفاعل معها فينشأ السلوك السوي والسلوك المنحرف، وكل منهما له تأثيراته في توجهات الفرد وحياته المستقبلية، وبذلك فإن إطاره المرجعي يتأثر بهذه السلوكيات وتنشأ الشخصية السوية أو المضطربة أو بينهما ، لذلك فإن اهتمامنا بسلوك التفاعل مع الغير يوجه اهتمامنا إلى معرفة هذا السلوك ويتنبأ به مستقبلاً.

ب- أهمية علم النفس الاجتماعي في مجال التربية والتعليم:

تستهدف التربية إعداد الفرد لمستقبل حياته من خلال عمليات التعلم التي يتلقاها في المدرسة، ولا يقتصر التعليم على العمليات العقلية فقط، بل يستهدف النمو الشامل للشخصية "اجتماعياً وعقلياً ونفسياً....إلخ".

لذلك فإن أهمية علم النفس الاجتماعي تُمد المعلم بمعلومات مهمة في كيفية التعامل مع التلاميذ والطلاب ، ومعرفة نوع العلاقات التي تنشأ بينهم وبين المعلم علاوة على إكسابه المعايير والقيم والاتجاهات والعادات التي يتم غرسها في نفوس التلاميذ ، وتعديل بعض الاتجاهات الخاطئة والآراء السلبية التي ربما تؤثر في مستقبل التلميذ أو الطالب بحيث يتمكن من خلق شخصية سوية قادرة على التفاعل والنمو الاجتماعي المصاحب لعمليات القيادة والتأثير في الآخرين بوسائل ديمقراطية ناجحة.

جـ- أهمية علم النفس الاجتماعي بالنسبة لمهنة الخدمة الاجتماعية:

الخدمة الاجتماعية مهنة تساعد الفرد الذي عُطلت قدراته أو أُسي استخدامها بطريقة غير صحيحة على تنمية أو إعادة هذه القدرات بحيث يتمكن بنفسه أو بمساعدة غيره من

المهنيين على القيام بالدور المناسب له وفقاً لسنه ونوعه ويصبح قادراً على التفاعل وحل مشكلاته بنفسه.

والأخصائي الاجتماعي وهو يمارس هذه المهنة يستطيع فهم السلوك وتوجيهه في إطار تكوين العلاقات الاجتماعية مع الغير وتعديل الاتجاهات والقيم التي تساعد الفرد في مجال التعليم أو في مجالات الحياة الأخرى من التعامل بالطريقة الصحيحة ونبذ كل مايُسيء إلى جوهر العلاقات الاجتماعية التي ربما تؤثر في طبيعة وموقف هذه العلاقات مع الغير.

لذلك فإن معرفة الأخصائي الاجتماعي بموضوعات علم النفس الاجتماعي لها تأثير مباشر في الطريقة التي يتعامل فيها مع مستفيدي الخدمة الاجتماعية التي يقدمها في كل مجالات الخدمة الاجتماعية.

د- أهمية علم النفس الاجتماعي في مجال الصناعة:

تقوم الصناعة على التعاون والتكامل بين الأفراد في الوحدات المختلفة في المصنع، وهذا يتطلب التنسيق بين العاملين وإزالة كل العوائق التي تقف في سبيل ذلك ، أو تُحد من قدرة المنتج في الإنتاج أو تقلل من مسؤوليته أو احترامه لذاته؛ ولهذا فإن علم النفس الاجتماعي يهتم بالتكامل والتعاون وإزالة كل الأسباب التي ربما تعيق عملية الإنتاج أو تقلل منه من خلال غرس الاتجاهات وتدعيم المواقف الإيجابية للمنتج أو الموظف ، وإشاعة نوع من الأمن والانتماء الذي يخلق الديمقراطية ويحقق كل منهم ذاته وقدراته على زيادة الإنتاج.

هـ- أهمية علم النفس الاجتماعي في مجال الإعلام والعلاقات العامة:

يلعب الإعلام دورا هاما في التأثير على سلوك الفرد والجماعة بواسطة الدعاية والتأثير والرأي العام، ولذلك يستخدم علم النفس الاجتماعي كوسيلة مهمة من وسائل التأثير في الآخرين وتعديل اتجاهاتهم وغرس قيم جديدة تتناسب مع مجالات الحياة التي تسعى إليها وسائل الإعلام المتعددة المقروءة و المسموعة والمنظورة وغيرها.



و- أهمية علم النفس الاجتماعي في المجال العسكري:

إن فهم ودراسة وتوجيه سلوك الفرد وتدريبه ورفع روحه المعنوية وبناء الشخصية الاجتماعية المقاتلة وولاء الفرد للوطن واختيار القادة على أسس سليمة، والتأثير فيهم بوسائل الدعاية وتنمية الشعور الوطني يُعد من أهم الموضوعات التي يوليها علم النفس الاجتماعي اهتماماته ويركز عليها لاختيار القادة والأفراد لتحقيق النصر في المعارك الحاسمة مع العدو.

ز- أهمية علم النفس الاجتماعي في علاج مشكلات المجتمع بصفة عامة:

تنشأ المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من اختلاف النظم وتعدد الاتجاهات وتضاربها مما يخلق حاله من عدم التوازن بين الأفراد في المجتمع ويهيئ البعض منها لحدوث مشكلات قد تكون خطيرة في المجتمع؛ ولذلك فإن علم النفس الاجتماعي يُنذر بخطورة ذلك ويعمل على توجيه التغير لفائدة المجتمع بواسطة ما يقوم به من دراسات ميدانية يتقصى فيها الوقائع ويستشف الآراء والمواقف المتضاربة التي قد تعجِّل بوجود كوارث اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو أمنية....إلخ، ومن الممكن أن يُنقذ المجتمعات من المخاطر المتوقعة ويتنبأ بها قبل وقوعها، ويهيئ الأفراد لحياة اجتماعية أفضل تزداد فيها الثقة وتنعدم فيها مشاعر الكراهية والغبن بين الفئات أو المجتمعات أوفي المجتمع الواحد أحيانا، ومن هنا تبدو أهمية علم النفس الاجتماعي في بحث ودراسة سلوك الفرد في المجتمع لكشف السلوك العدواني الفردي أو الجماعي ومعرفة أسبابه وعوامله تمهيداً للتحكم فيه وتغييره أو تعديله من خلال تغيير عقول الأفراد وضبط سلوكهم قبل وقوعه.

النشأة التاريخية لظهور وتطور علم النفس الاجتماعي:

يمكن تقسيم نشأة علم النفس الاجتماعي وتطوره إلى عدد من المراحل المختلفة وهي:

أ-المرحلة الأولى: مرحلة التأملات الفكرية والفلسفية اليونانية:

لم يكن علم النفس الاجتماعي في بداية نشأته علماً قائما بذاته فقد اختلطت موضوعاته بالفلسفة القديمة والتأملات النظرية التي جعلته ضمن إطار الفلسفة القديمة زمناً طويلاً، فأفلاطون الفيلسوف اليوناني نظر إلى طبيعة العلاقة التي تربط الفرد بالمجتمع نظرة يغلب عليها الطبيعة النظرية للإنسان التي تحدد لكل فرد مكانه المناسب في المجتمع وفقاً لقدراته واستعداداته، وبهذا فإنه قد حافظ على إيجاد مجتمع طبقي تنعدم فيه أواصر العلاقات بين الطبقات حفاظاً على قوام النظام الاجتماعي ومصلحة كل طبقة على حدة، ورأى أن السلوك الاجتماعي يقرره المجتمع وليس الفرد، فالمجتمع هو الذي يؤثر في الفرد وسلوكه ويمكن تحويل سلوكه إلى كائن اجتماعي عبر عمليات التربية التي يستمدها من المجتمع الذي يعيش فيه.

أما أرسطو الذي تأثر بأفكار معلمه أفلاطون فقد اعتبر أن الطبيعة الفطرية للإنسان هي أساس سلوكه الاجتماعي، وأن الإنسان يتأثر بالظروف التي يعيشها ويولد فيها.

ب- المرحلة الثانية: مرحلة التفكير الإسلامي:

تأثر علماء الإسلام ومن بينهم الفارابي بأفكار المدرسة اليونانية واعتبر الإنسان اجتماعيا بطبعه تؤثر فيه الحاجات الأساسية التي تجعله يميل إلى التجمع وحب الاجتماع مع الغير؛ ولهذا يرى من الضروري تنظيم المجتمع على أسس طبقية تتحدد فيها علاقة كل من الحاكم بالمحكوم.

وتناول ابن خلدون في مقدمته عددا من المواضيع ذات العلاقة بعلم النفس الاجتماعي كحاجة الإنسان إلى السلطة ومراحل تطور المجتمع الإنساني وأهمية التنشئة الاجتماعية في حياة الفرد والمجتمع.

وركز ابن سينا بشكل واضح في كتابة الأصل والعودة على أهمية العلاقات التي تربط الفرد بالجماعة ودور التفاعل الاجتماعي في علاج حالات الانفعال والخوف وبعض الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان في نفسه وجسمه، وكذلك أهمية التنشئة الاجتماعية في حياة الصبي وتربيته في الأسرة.

جـ- المرحلة الثالثة: مرحلة العصر الحديث ماقبل القرن العشرين:

لقد ظهرت في هذه المرحلة اتجاهات فكرية رائدة تحاول تفسير السلوك الاجتماعي للإنسان وتعتمد على الدراسات الإمبريقية والتحليلية التي تصف السلوك وتفسره إلى عوامله الأساسية، وقد أسهم هوبز الفيلسوف الإنجليزي بأفكاره في تقدم علم النفس الاجتماعي، إذ اعتنى بالطبيعة الإنسانية مبيناً أن الإنسان أناني بطبعه يسعى إلى جلب اللذة ودفع الألم ولديه ميول فطرية نحو الصراع والمنافسة مع الآخرين، وأيده في ذلك جيرمي بنتام وآدم **سميث** من أن الإنسان يسعى للربح ويمارس اللذة ولو على حساب الآخرين ولديه ميول فطرية شريرة تدفعه للتقاتل مع الآخرين إذا وقف الآخرون في سبيل تحقيق ذاته.

إما **إسبينوزا** في القرن السابع عشر فقد خالف آراء **هوبز** ورأى أن بداية حياة الإنسان اعتمدت على العزلة النسبية التي يحياها الفرد في محيطه الاجتماعي دون تنظيم اجتماعي أو قانون ينظم حياته مما جعله يتصرف وفق أهوائه ومصالحه الخاصة. وليس لديه أي معنى للعدالة أو الظلم وما التنظيم الاجتماعي الذي أسسه الإنسان فيما بعد إلا نتاج تعرضه للأخطار والمحن التي ولدت الخوف وجعلت الإنسان يسعى لأن يعيش في شكل جماعات قريبة من بعضها تكون فيها اتجاهات الأفراد ومواقفهم متقاربة حتى يمكن لهم العيش بسلام.

واعتبر **جان جاك روسو** أن طبيعة الإنسان خيِّرة وهو ليس مصدرا للشر وأن الفرد إذا ترك للطبيعة فإنه ينمو نمواً سلبياً وأن مصدر الشر يكمن في النظم الاجتماعية التي تفسد الإنسان وتُسيء طباعه؛ لذلك فإنه حارب الطبقة الحاكمة وثار على طغيان السلطة فيها ورأى ضرورة إيجاد نظام تعاقدي يقوم بين الحاكم والمحكوم يحق للشعب سحب الثقة من الحاكم إذا رأى ما يستوجب تخلي الحاكم عن الحكم.

وكان لأفكار منتسيكو أثراً على السلوك الاجتماعي للأفراد، إذ اهتم بتأثر المناخ على سلوك الفرد واعتقد أن المناخ الحالي يؤدي إلى انتشار الكسل ولا يساعد على العمل خلافا للمناخ البارد مما يسهم في دفع الناس للعمل ويصبح الرق ضرورة تقتضيها ظروف المناخ الحار.

وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر زاد تطور التفكير العلمي في علم النفس الاجتماعي واتخذ مجالاً واسعاً للبحث في السلوك الاجتماعي نتيجة لانتشار قواعد الطريقة العلمية وظهور الدراسات التجريبية وتخلصها من السلبيات السابقة والأفكار الفلسفية والتأملات العقلية المتأثرة بالمعتقدات الدينية والتوجهات الفكرية التي سادت المرحلة السابقة من تاريخ العلم، وفي هذه المرحلة فقد اتخذ البحث في السلوك الاجتماعي اتجاهات مغايرة على يد العالم الاجتماعي **تشارل دارون** في كتابه **أصل الأنواع** الذي تضمن نظريته في النشوء والارتقاء، إذ دفعت أفكاره عدد من المفكرين للبحث في العوامل الوراثية والاختلافات العقلية والنفسية بين الأفراد وكانت من بين أهم العوامل التي أثرت في توجيه التفكير الإنساني بصفة عامة لاسيما الموضوعات المتعلقة بالإنسان من حيث أصله وتطوره وسلوكه مع غيره.

وقد اعتبر **دارون** أن الحياة الاجتماعية للإنسان تعتمد على الغرائز الفطرية التي تساعد على البقاء وتنتقل إلى الأجيال اللاحقة وما القيم الاجتماعية والأخلاقية إلا نزعات موروثة يتم نقلها عبر الأنماط السلوكية بين الأجيال وهي تساعد الإنسان في صراعه من أجل البقاء.

وقد كان لهذه الأفكار والتوجهات تأثيراتها في تطور علم النفس الاجتماعي وفي دراسة السلوك بصفة عامة حيث بدأ علماء النفس يدرسون سلوك الكائنات الحيوانية بهدف البحث عن وجود نقاط وصل يتشابه فيها سلوك الإنسان مع سلوك بعض الحيوانات الراقية، وقد دفعت هذه الأفكار الكثير من علماء النفس أمثال **جالتوت** و**مورجان** و**سبنسر** إلى دراسة سلوك الإنسان ومعرفة الخطوات الأساسية التي تخضع لها قوانين التطور.

د- المرحلة الرابعة: مرحلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر:

يعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر بداية تطور النشأة العلمية لعلم النفس الاجتماعي، إذ ظهرت أول دراسة علمية متخصصة في علم النفس الاجتماعي على يد العالمين **لازاروس و شتاينهال** في الفترة مابين "1823-1903"اللذان نشرا فيها أبحاثاً تناولت الخصائص النفسية للشعوب حيث اعتمد كل منهما أسلوب الملاحظة الدقيقة في

الحصول على المعرفة من مصادرها الرئيسة، وقد قسما ميدان علم النفس الاجتماعي إلى قسمين: اهتم القسم الأول ببحث العوامل النفسية والاجتماعية التي تفسر سلوك الجماعة، أما القسم الثاني فاهتم ببحث العوامل التي تفسر سلوك كل نوع من أنواع الجماعات على حدة.

ومن بين العلماء الذين اهتموا بدراسة العوامل النفسية والاجتماعية التي تفسر السلوك الاجتماعي العالم الألماني فونت، إذ نشر أول دراساته في عشر مجلدات أطلق عليها أساسيات علم نفس الشعوب التي اهتم فيها بدراسة العوامل الاجتماعية والنفسية التي تؤثر في سلوك الأفراد.

وقد اتجه بعض من علماء النفس الفرنسيين هذا الاتجاه، إذ اهتموا بدراسة أثر الجماعة في سلوك الفرد وأثر الفرد في سلوك فرد آخر وأتبعهم فيها بعد **"بريد"** و**"تارد"** حيث اهتم **"بريد"** بدراسة الإيحاء وتأثيره في سلوك الفرد والجماعة وركز **"تارد"** على دراسة الظواهر الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي في كتابه الذي أسماه **"قوانين التقليد"** واصفاً التقليد بأنه سلوك اجتماعي يتعلمه الفرد ويتأثر به خلال تفاعله مع الآخرين، وقد تأثر **"تارد"** بتجارب **"برنهايم"** ومدرسة **نانسي** وذهب إلى أن الإجرام سلوك يتعلمه الفرد من المجتمع الذي يعيشه ويتأثر به عبر قوى التصارع المتفاعلة في المجتمع ولا دخل للتكوين البيولوجي للفرد فيه.

ومن بين أهم المؤلفات التي ظهرت في علم النفس الاجتماعي كتاب سيكولوجية الجماهير للمفكر الفرنسي **"غوستاف لوبون"** الذي وصف فيه كيفية تأثير الجماعة في الفرد وتأثير الفرد في الجماعة من الناحية النفسية واصفاً السمات العامة للجماعة ومدى تأثيرها على سلوك الفرد معتبراً أن العقل الجماعي يقود الأفراد إلى سلوك مختلف تختلف فيه السمات الفردية ما يجعلهم يسلكون سلوكاً اجتماعيا يكون في مستواه أحط من سلوك الأفراد منفصلين؛ ذلك لأن الفرد في الجماعة يسهل قيادته ويندفع بسرعة تحت تأثير الإيحاء مما يفقده القدرة على التأثير في الآخرين وتضعف قدرته على التفكير الموضوعي.

هـ-المرحلة الخامسة: مرحلة القرن العشرين:

لقد هيأت الكتابات الأولى وآراء الفلاسفة والمفكرين القدامى وبعض الأبحاث التي تناولت شتى الأبحاث الموضوعات السابقة الطريق أمام البحث في الاتجاه العلمي لظهور علم النفس الاجتماعي كعلم قائم بذاته تستند موضوعاته على التجريب العلمي وتعتمد على الاستنتاج وبعض الحقائق الواقعية وتختفي فيه الشوائب التي لازمته قرون ماضية مما جعلته يبرز كعلم مستقل له موضوعاته وأهدافه التي تحدده ضمن إطار فلسفة هذا العلم.

ويعد العالم الإنجليزي **"تشارلز كولي"** من أوائل من كتب في علم النفس الاجتماعي إذ نشر كتابه الذي أسماه الطبيعة البشرية والنظام الاجتماعي في سنة 1902 أوضح فيه أن المجتمع حقيقة نفسية وأن الطبيعة البشرية للفرد الإنساني تنشأ في المجتمع بحيث لا يمكن الفصل بين الفرد والمجتمع، وأن الذات الفردية لا تتضح إلا في إطار الذات الاجتماعية التي تنمو في الأسرة والمجتمع خلال عمليات التفاعل التي تنشأ بين الفرد ومجتمعه.

وبهذا يعتبر **كولي** أول من أسهم في تطور علم النفس الاجتماعي واهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية وتأثيرها في شخصية الفرد وقال بوجوب النظر إلى الفرد والمجتمع في شكل متكامل؛ لأن النظر للحياة من جانب الفرد فقط يجعل الحياة الاجتماعية قاصرة كما هو الحال في النظر إلى الحياة من جانب المجتمع فقط، فالحياة الاجتماعية تتكون من تفاعل الفرد مع الجماعة ومن تفاعل الجماعة مع الفرد فكل منهما مكمل للآخر ومتفاعل معه.

وفي سنة 1908 نشر **كولي** أول كتابين أحدهما للعالم الأمريكي **إدوارد روس** بعنوان علم النفس الاجتماعي والآخر لمؤلفه **وليم مكدوجل** بعنوان المدخل إلى علم النفس الاجتماعي تطرق فيه **روس** إلى تعريف علم النفس الاجتماعي وبين فيه أن علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يتناول التفاعل النفسي بين الإنسان وبيئته الاجتماعية. فبدون التفاعل يتوقف نمو الطفل إلى الحد الذي قد يصل فيه إلى الضعف العقلي، وقد تأثر روس بآراء من سبقه في كثير من الموضوعات التي عالجها، إذ استعان بقوانين التقليد في الإيحاء واهتم بموضوعات العادات الاجتماعية و الرأي العام، كما فرق بين علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع النفسي، حيث يتناول علم النفس الاجتماعي موضوعات التعاون والتنشئة

الاجتماعية والتباعد الاجتماعي، أما علم الاجتماع النفسي فإن اهتماماته تتركز حول الجوانب النفسية للجماعة. أما كتاب المدخل إلى علم النفس الاجتماعي لمؤلفه **مكدوجل**، فقد اهتم بأهمية علم النفس في دراسة المجتمع وتناول فيه أهميه الغرائز واعتبرها الأساس الأول للسلوك الفطري المشترك بين الأفراد، غير أن أفكاره قد تعرضت لبعض الانتقادات من علماء الاجتماع والأنثربولوجيا الذين أشاروا إلى أن الفرد ماهو إلا نتاج الإطار الثقافي الذي يعيشه وينمو فيه.

وفي سنة 1920 نشر **مكدوجل** كتابه سماه "**العقل الاجتماعي**" بين فيه أن الجماعة قد تجنح إلى سلوك عدواني شاذ وتنقاد وراءه حينما تتأثر به خلافاً لما يحدث مع الأفراد في حالة وجودهم منفردين.

وتوالى الاهتمام بتطور علم النفس الاجتماعي على يد العالم **كيرت ليفين** في أوائل الأربعينيات من القرن الماضي الذي اهتم بما أسماه المجال النفسي الذي يركز على دراسة الفرد في تفاعله مع المواقف والخبرات الاجتماعية المختلفة التي يتعرض لها في حياته مع الآخرين حيث يكتسب منها الخبرات السارة والمؤلمة التي تؤثر في سلوكه وتوجهه، وتبدو ملامحها واضحةً في إطارها العام.

وكان للحرب العالمية الثانية دورها البارز في تطور علم النفس الاجتماعي، إذ اهتم علماء النفس بالموضوعات التي تتصل بالقيادة والروح المعنوية والصراع والتعصب والسلوك العدواني بين الأفراد والجماعات لارتباطها بجوهر الحروب، كما نشطت الأبحاث التي تدور حول سيكولوجية التعصب وتأثيرها على الأفراد والجماعات، ودراسة الأقليات وعوامل سيطرة الأغلبية، وتأثير الرأي العام على الفرد والجماعة في الروح المعنوية، واستخدمت بعض اختبارات الاتجاهات في قياس الروح المعنوية، كما تحول علم النفس الاجتماعي من علم يصف الظواهر الاجتماعية إلى علم تجريبي يقوم على التجربة والمشاهدة ومن الدراسة النظرية إلى الطرق العلمية التي تقيس بدقه وصف الظواهر وتتنبأ بها قبل وقوعها، كما ظهر لهذا العلم متخصصون وبحاث اهتموا بموضوعاته، وظهرت لهم أبحاث تختص بالاتجاهات النفسية والإشاعات والعادات والقيم والدعاية والإعلام

والرأي العام وغيرها تنشر في دوريات ومجلات علمية تتولاها مراكز بحثية متخصصة تهتم بنشر البحوث والدراسات التي توجه الرأي العام وتفيد في التخطيط والتنمية الاجتماعية، وتتنبأ بمشكلات المجتمع قبل حدوثها.

هذا، وقد تشعبت موضوعات علم النفس الاجتماعي إلى الحد الذي جعله علماً قائماً بذاته يطرح المشكلات ويضع الخطط ويعالجها ويمد غيره من العلوم الأخرى بخبراته في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية بما يملكه من أفكار ومعارف لها أهميتها في المجال العلمي، وبما يتضمنه من مناهج متعددة وأساليب علمية مبتكرة تساعد الإنسان على حل مشكلاته الاجتماعية والسلوكية.

علم النفس الاجتماعي بين العلوم النفسية والاجتماعية:

يُعد علم النفس الاجتماعي حلقة وصل ذات أهمية بين الدراسات النفسية والدراسات الاجتماعية، فإذا كانت الدراسات النفسية تركز اهتمامها على سلوك الفرد في مختلف جوانبه فإن الدراسات الاجتماعية تركز اهتمامها على سلوك الجماعة في المواقف التي يتعرض لها أفرادها، وبذلك فإن سلوك التفاعل وما ينتج عنه من مثيرات واستجابات إيجابية أو سلبية يقع ضمن دائرة اهتمام علم النفس الاجتماعي الذي يشمل السلوك الاجتماعي للفرد في إطار تأثره بسلوك الجماعة التي ينتمي إليها.

وتشمل مجموعة العلوم النفسية علم النفس العام وعلم النفس الفسيولوجي وعلم نفس النمو، أما مجموعة العلوم الاجتماعية فهي تشمل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلوم الاقتصاد والسياسة. وفيما يلي علاقة علم النفس الاجتماعي بكل منها.

أ- علم النفس الاجتماعي والعلوم النفسية

1- العلاقة مع علم النفس العام:

تقوم وحدة التحليل في علم النفس على دراسة شخصية الفرد ومعرفة احتياجاته ومطالبه وإدراكاته ومعارفه؛ ومن ثم فهم سلوكه وتصرفاته من خلال إجراء التجارب المعملية التي يعتمد عليها علم النفس في فهم سلوك الأفراد دون الرجوع إلى البيئة

الاجتماعية بحيث يمكن عزل مؤثرات البيئة الاجتماعية عن الأفراد حتى تتضح ملامح السلوك الفردي رغم صعوبة فصل مؤثرات البيئة الاجتماعية في سلوك الفرد. وبهذا فإن علم النفس العام يركز اهتماماته على القوانين الأساسية التي يشترك فيها كل الأفراد بقصد فهم معرفة السلوك الفردي والتوصل إلى القوانين العامة التي تحكمه ، أما علم النفس الاجتماعي فهو يركز على السلوك الاجتماعي الذي يتكون من حصيلة سلوك الأفراد في مواقف التفاعل الناشئ بينهم؛ لذا فإن ما يعده علم النفس العام غير مهم نراه يكون مهماً بالنسبة لعلم النفس الاجتماعي.

وهكذا كان ينظر علم النفس العام إلى الإنسان بوصفه ظاهرة نفسية فردية غير متصلة بما هو اجتماعي إلى أن ظهر علم النفس الاجتماعي ونظر إلى الإنسان باعتبار أن سلوكه تحدده عوامل نفسية واجتماعية يتشكل فيها سلوكه وفقا لعمليات التنشئة الاجتماعية التي تحوله إلى كائن اجتماعي.

2- العلاقة مع علم النفس الفسيولوجي:

يتأثر السلوك الإنساني بعوامل متعددة داخلية وخارجية تتحكم في سلوكه وتضبط توجهه فإذا كان علم النفس الاجتماعي يهتم بالسلوك الخارجي الذي يكتسبه الفرد من مواقف التعلم مع الآخرين، فإن علم النفس الفسيولوجي له تأثيرات واضحة في السلوك الداخلي للفرد بما يتضمنه من إفرازات للغدد الصماء التي تفرز مركباتها الكيميائية في الدم مباشرة وتؤثر على سلوك الفرد سلباً أو إيجاباً، فزيادة إفراز الغدة الدرقية أو نقصها مثلا يخلق ردود أفعال سلبية تؤدي إلى اضطراب في الشخصية والنمو بصفة عامة، ولاشك أنها تؤثر في السلوك؛ لذلك فإن الباحث في علم النفس الاجتماعي لا ينسى أن هناك تفاعلاً بين العوامل الاجتماعية والعوامل الفسيولوجية "العضوية"بسبب التفاعل الناشئ بينهما في الشخصية الذي يظهر في شكل سلوك اجتماعي يتحدد بعوامل اجتماعية وعضوية.

ومع أهمية الغدد الصماء والهرمونات التي تفرزها في جسم الإنسان وتأثيرها على السلوك الفردي فإن عددا من البحوث التجريبية التي أجريت على السلوك في تأثره بالعقاقير المخدرة والمهدئة قد بينت تأثير تلك العقاقير على الشخصية وظهور أنماط متعددة

من السلوك المنبسط والانطوائي بفعل تأثير تلك العقاقير على الدماغ؛ ومن ثم زيادة عمليات الإثارة أو التقليل منها على الجهاز العصبي المركزي.

3- العلاقة مع علم النفس الارتقائي "النمو":

يهتم علم النفس الارتقائي بمظاهر النمو المختلف الذي يحدث للكائن الحي منذ بداية تكوينه في المرحلة الجنينية وحتى آخر مراحل حياته، ويهتم بشكل مباشر بمظاهر النمو الجسمي والنفسي والعقلي والاجتماعي في كل مرحلة من مراحل النمو التي يمر بها الإنسان وهو بذلك يعطي أولوية خاصة لعملية النضج الطبيعي التي تلازمه أثناء حياته مما يساعد في عملية النمو التي تزداد بواسطة التعلم والتدريب ويكتسب فيها الخبرات والمهارات الحياتية التي تصيغ سلوكه بطابع معين، ويستفيد علم النفس الاجتماعي من علم النفس الارتقائي بأن مظاهر النمو التي يخضع لها الفرد في حياته لا تكتسب بواسطة البيئة والظروف الاجتماعية وحدها بل تساعده عوامل أخرى داخلية تتأثر بالوراثة وترتبط بالنضج تهيئ الفرد لمراحل حياتيه جديدة تنمو مع الوقت وتظهر في سلوكه ونشاطه بصفة عامة.

ب- علم النفس الاجتماعي والعلوم الاجتماعية:

1- العلاقة مع علم الاجتماع:

يختص علم الاجتماع بدراسة التنظيمات الاجتماعية من حيث تكوينها ونموها وعلاقاتها واستمرار التفاعل فيها وكيفية تغيرها وزيادة حجمها أو تفككها، وتعتبر الجماعة وحدة الدراسة في علم الاجتماع فهو يهتم بالجماعات والطوائف والطبقات ويدرس سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم كما يهتم بجماعات الأسرة والمدرسة والعمل وبمؤسسات المجتمع ووظائفها وكيفية بنائها وتغيرها، وهو في الأساس يركز على السلوك الاجتماعي بصفة عامة، ويعتبر الجماعة والمجتمع محور نشاطه ووحدات التحليل التي يتناولها بالبحث والدراسة، أما علم النفس الاجتماعي فإنه يدرس العوامل النفسية التي يتكون فيها سلوك الأفراد في الجماعة والتأثيرات النفسية التي تصاحب هذا السلوك وتؤدي إلى استمرار الجماعة

أو تفككها أو تغير سلوك أعضائها؛ ولهذا نرى أن علم الاجتماع يهتم بالجماعة كجماعة واحدة دون الخوض في تفاصيل أفرادها. أما علم النفس الاجتماعي فهو يلازم سلوك الكل ليس بمفرده ولكن أثناء وجوده في الوسط الجماعي الذي يعمل فيه والتغيرات التي حدثت له بمقتضى التفاعل القائم مع الجماعة في المواقف التي تمارسها، وهذا يعني أن علم الاجتماع يشارك علم النفس الاجتماعي في بعض من عناصره، فنحن حينما نتناول دراسة سلوك الفرد في الجماعة فإننا نتناول اهتمام علماء النفس الاجتماعي، أما حينما نتناول دراسة سلوك الجماعة بصفة عامة فإننا نتناول اهتمام علماء الاجتماع وبذلك نرى الترابط الذي يجمع كلا العلمين، فكل منها يهتم بعناصر محددة ولكنها مختلفة لواقع لا يتجزأ فالأفراد لا يمكن فهمهم بعيداً عن علاقات بعضهم ببعض والعلاقات لا يمكن أن تفهم بعيداً عن وحدات أفرادها، فالأفراد يكونون العلاقات فيما بينهم وعلاقات الأفراد لا تتضح إلا ضمن تجمعهم في جماعات واحدة.

2- العلاقة مع علم الإنسان "الأنثربولوجيا":

علم الإنسان من العلوم الاجتماعية الذي يتناول دراسة أصل الإنسان ونشأته ونموه وتطوره ومعرفة أشكال الجماعات البدائية ودراسة أنماطها الثقافية وعاداتها وتنظيماتها الاجتماعية القديمة التي كانت تمارسها وتعبر بها عن نشاطاتها الثقافية والاجتماعية عبر العصور القديمة التي كانت تعيشها كما يهتم بمظاهر التشابه والاختلاف بين الأجناس البشرية وبمحتوى الثقافات المادية التي تركتها هذه الجماعات أثناء وجودها على الأرض.

وعلم الإنسان في تناوله لثقافات هذه الشعوب التي سادت ثم بادت يحاول الكشف عن تاريخ حياتها وكيفية معيشتها ويقارن بينها وبين الجماعات الأخرى متلمسا أوجه الشبه والاختلاف في ماضي حياتها ليفسر الفروق الناجمة بين الجماعات والشعوب ويقيم التحليلات والترابطات التي تربط الإنسان بماضيه القديم وهو في هذا يقصد أثر انتقال الثقافة والخبرات إلى الأجيال اللاحقة وهي نقطة يلتقي عندها مع علم النفس الاجتماعي الذي يهتم بكيفية حصول الفرد على تلك الثقافة واستمرارها فيهم عبر الأجيال اللاحقة وبهذا فإن علم النفس الاجتماعي يرتبط بعلاقة قائمة مع الإنسان تتشابه فيها مكونات هذه العلاقة ولكنها لا تصل إلى الحد الذي يجعل أهداف العلمين واحدة.

3- العلاقة مع علم الاقتصاد والسياسة:

يقوم علم الاقتصاد على دراسة الظواهر الاجتماعية التي تهتم بالعمليات الاقتصادية في الإنتاج والاستهلاك والتوزيع وكذلك تحديد قيمة السلع والخدمات التي بواسطتها يتم تحديد إنتاج تكلفة السلعة أو الخدمة المقدمة للأفراد كما يتضمن عمليات التسويق والربح والخسارة التي تحدثها السلع، ويقوم علم النفس الاجتماعي بدراسة سيكولوجية البائع والشاري ومعرفة نفسية كل منهما تجاه السلعة والكيفية التي تدفع الأفراد للإقدام على شراء السلعة أو النفور منها ومعرفة الطريقة التي يتصرف بها كل منهما تجاه الآخر كما يوجه اهتمامه إلى نوع المعاملة والطريقة التي يتصرف بها البائع ومدى توافر الجاذبية والذكاء الاجتماعي والصبر وحسن المعاملة مع المشتري.

أما علم السياسة الذي يعنى بدراسة النظم السياسية وعلاقة الحاكم بالمحكوم فإن علم النفس الاجتماعي أضحى من العلوم المهمة التي تهتم بالسلوك السياسي للقادة والزعماء، إذ أصبح يركز على دراسة الشخصية القيادية باعتبار أن القادة هم صانعي القرار السياسي الذي يحدد مصير الشعوب والدول؛ لذلك فإن دراسة الشخصية القيادية تعد من أبرز اهتمامات علم النفس الاجتماعي بحيث يمكن التحكم في معرفة السلوك القيادي وتوجيهه توجيهاً صحيحاً يتناسب مع مسئوليه القائد في السلم والحرب.

موضوعات الدراسة في علم النفس الاجتماعي:

يحدد كل علم من العلوم المختلفة مجالاً واضحاً لموضوعاته التي يتناولها بالدراسة والتحليل بحيث تميزه عن بقية موضوعات العلوم الأخرى وتكون ضمن تخصصه ومجال اهتماماته التي تشتق منها أهداف العلم ومبادئه.

وفيما يلي أهم موضوعات الدراسة التي يتناولها علم النفس الاجتماعي:

يتناول علم النفس الاجتماعي الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي الإنساني والحيواني بصفة عامة في تفاعله مع المجتمعات والجماعات الإنسانية والحيوانية الأخرى.

ويدخل ضمن هذا المجال الموضوعات الآتية:

- دراسة ثقافات الأمم والشعوب ومعرفة سلوكها والمقارنة بينها.
- دراسة ديناميات الجماعة وأشكال الجماعات الإنسانية وأنواعها وعمليات التفاعل الاجتماعي الإيجابي والسلبي.
- دراسة العلاقات الاجتماعية بين الجماعات والمجتمعات ونواتج تلك العلاقات المتمثلة في التأثير والتأثر وعمليات الاتصال المتبادل والإدراك الاجتماعي والدوافع الاجتماعية.
- دراسة السلوك الاجتماعي وسلوك الحشد والجمهرة ودوافعه وانفعالاته في الميادين الرياضية والفنية والتربوية والاجتماعية المختلفة.
- دراسة الاتجاهات النفسية والاجتماعية والرأي العام والتعصب القبلي والطائفي والصراع السياسي والثقافي والعرقي والديني.
- دراسة سيكولوجية الشائعات والحرب النفسية والروح المعنوية والعدوان والتمييز العنصري.
- دراسة القيم والعادات والمعتقدات الاجتماعية والسلطة والتسلط الاجتماعي.
- دراسة سيكولوجية القيادات والدعاية والإعلام.
- التنشئة الاجتماعية بأنواعها وسلوك الدور الاجتماعي والتغير الاجتماعي.
- دراسة وسائل الاتصال الجماعية واللغة والمعتقدات الدينية والثقافية.
- دراسة السلوك الجنسي كسلوك اجتماعي والمثلية الجنسية والبغاء والدعارة.
- دراسة سلوك التدخين وتعاطي المخدرات و إدمان الخمور والمؤثرات العقلية.
- دراسة السلوك الاجتماعي المتعلق بالجوانب السياسية كسلوك الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني وسلوك الانتخابات والمظاهرات السياسية والمسيرات الناجمة عن الاحتجاجات والاضطرابات المدعومة داخلياً أو خارجياً.

- دراسة الأسس النفسية والاجتماعية للسلوك الاجتماعي الإجرامي وجنوح الأحداث وسلوك الإرهاب والتطرف والعنف الاجتماعي بشكل عام.
- دراسة المعتقدات الشعبية كالسحر والشعوذة والدجل والمعتقدات الغيبية التي تؤثر في سلوك الناس.
- دراسة سلوك الجماعات والتجمعات غير الإنسانية كتجمعات النحل والنمل والطيور والأسماك والحيوانات المهاجرة والراقية ومعرفة سلوكها وكيفية تكوينها وإشكالها وأنواعها ودوافعها بغيه مقارنتها بالسلوك الاجتماعي الإنساني الفطري.

الفصل الثاني

السلوك الاجتماعي الإنساني

كيف يتكون السلوك الاجتماعي؟

يولد الإنسان في جماعة ويجد نفسه عاجزاً عن توفير متطلبات حياته وأمنه بمفرده، ولذا فإن استمرار حياته يرتبط بوجود آخرين معه يقومون بتوفير احتياجاته والمحافظة على أمنه وسلامته وهم في ذلك يؤثرون فيه ويتأثرون به فتنشأ بينه وبينهم علاقات اجتماعية تفرضها طبيعة الحاجة وظروف المرحلة التي يمر بها الطفل في بداية حياته ما يجعله يقبل بشروطهم وينصاع لمطالبهم فينقاد لأوامرهم ويتأثر بها، وبذلك تنمو ذاته الفردية وتتأثر بالمحيط الاجتماعي من حوله من خلال مواقف السلوك التي يتعرض لها مع الآخرين الذين يشكلون مجاله النفسي ويحددوه منذ اللحظة التي يُعرف فيها نفسه.

وهكذا يتكون السلوك الاجتماعي نتيجة تفاعل الفرد مع الآخرين ضمن ظروف ومواقف التنشئة التي يمر بها في الأسرة أو المدرسة أو مع الرفاق......إلخ.

فحياة الإنسان وشعوره بذاته رغم أنها تولد معه وتكون منفصلة عن ذوات الآخرين إلا أنها تتأثر بهم ولا تفصح عن إمكاناتها إلا ضمن البيئة الاجتماعية التي تحددها، وهذا ما يجعل الأنا الفردية أنا اجتماعية في صميمها وجوهرها"داود، الأصفر: 2005، 11"؛ ولهذا يصعب على الإنسان شعوره بذاته ويكون هذا الشعور مصحوباً بذوات الآخرين الذين يرتبط بهم ويتأثر بمجالهم مما يجعل الفصل بين الذات والآخر فصلاً تعسفياً وذلك لارتباط الشخصية الإنسانية بالحياة الاجتماعية التي تتأثر بالمحيط الذي توجد فيه.

فالسلوك الاجتماعي للفرد لايمكن إدراكه إلا ضمن المجتمع الذي يرتبط به وهذا السلوك متفاعل ومتشابك بين الفرد والمجتمع، ويترتب عن هذا التفاعل صعوبة فهم السلوك الفردي منفصلاً عن السلوك الاجتماعي؛ لأن السلوك الفردي في حقيقته جزء من السلوك الاجتماعي الذي يعبر عن مظاهر الحياة الاجتماعية التي يحياها الفرد بكل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وأفكار ومشاعر، وبذلك فإن فصل السلوك الفردي عن السلوك الاجتماعي كوحدة مستقلة بذاتها هو فصل تعسفي لا معنى له ولا حقيقة لوجوده. ومن هنا

فإن القول بأن علم النفس الفردي الذي يدرس السلوك الفردي منفصلاً عن علم النفس الاجتماعي هو قول لم يعد مقبول في فهمنا لمعرفة السلوك الفردي؛ ذلك لأن سلوك الفرد يتأثر بالسلوك الاجتماعي، وبذلك لم يعد أيضاً علم النفس الاجتماعي جزءاً من علم النفس الفردي، بل إن علم النفس الفردي هو جزء من علم النفس الاجتماعي.

مفهوم السلوك الاجتماعي وحقيقته:

يعني السلوك الاجتماعي كل ما يتصل بالفرد من مواقف وذكريات وانفعالات ومشاعر تحيط به وتؤثر في سلوكه من خلال مواقف التفاعل التي تحدث بينه وبين بيئته الاجتماعية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وتؤثر في مجاله النفسي وتظهر في سلوكه ومواقفه، وليس بالضرورة أن يكون التأثير من قبل فرد أو أفراد بل قد يحدث التأثير من قبل أداة أخرى غير إنسانية كالحيوان أو الجماد أو النبات لها صفات وخصائص متشابهة لصفات وخصائص الإنسان في التأثير عليه بردود أفعالها وتصرفاتها التي قد تدفعه إلى فعل الخير أو الشر بسبب سلوكها وتصرفاتها معه كما يحدث في حالات الزلازل والبراكين والرياح والأمطار ومع النباتات والحيوانات المفترسة التي تحرك فيه الشعور نحوها بالمقاومة أو الهرب منها بسبب تأثيراتها التي تدفعه بالقيام بسلوك اجتماعي متبادل معها ويكون خاضعاً لها ومستجيباً لمؤثراتها أو رافضاً لسلوكها ونافراً لتصرفاتها معه، وبذلك فإن استجاباته وردود أفعاله تتشابه مع ردود أفعالها ومواقفها معه رغم إدراكه بأن هذه الظواهر أحياناً مجردة من الحياة ولكنها مؤثرة في سلوكه وتصرفاته.

ومن هنا، فإن حقيقة السلوك الاجتماعي تتضح في الآثار التي تحدثها الظروف الاجتماعية والبيئية علي سلوك الإنسان وتصرفاته وهذا يعنى أن الإنسان رغم أنه فاعل فهو كذلك منفعل بتأثير هذه الأحداث وآثارها في نفسه، وهذه الحقيقة تقودنا إلى أن معرفة السلوك الاجتماعي للإنسان هو مزيج من سلوك الفرد وسلوك غيره من الكائنات الأخرى سواء الإنسانية منها أو الحيوانية أو النباتية؛ ولهذا فإن معرفة السلوك الاجتماعي للإنسان يتطلب معرفة مستوى السلوك الفردي وفهم عناصره ومكوناته والمجال الذي يحدث فيه، ذلك لأن السلوك الفردي يشكل أجزاء العناصر العامة للسلوك الاجتماعي الذي يندمج في إطاره ويؤثر فيه.

لهذا فإن فهم حقيقة السلوك الاجتماعي العام يتطلب فهم شخصية الفرد وسلوكه والمواقف التي يحدث فيها هذا السلوك باعتبار أن شخصية الفرد وسلوكه مندمج في إطار السلوك الاجتماعي العام؛ لذا فإن فهم السلوك الاجتماعي العام لا يلغي فهم السلوك الفردي، كما أن فهم السلوك الفردي لا يلغي فهم السلوك الاجتماعي العام؛ لأن ذلك جزءا من عناصره المكونة له، فالسلوك الفردي ما هو إلا سلوك جزئي خضع لعوامل ومتغيرات كونت عوامله وتفاعلت مع المجال الذي حدث فيه هذا السلوك وبذلك أصبح سلوكا مركبا خضع فيه الشخص لتلك العوامل والمواقف التي أنتجته منذ اللحظة التي وُلد فيها هذا السلوك وتأثر بها مع غيره.

أهمية دراسة السلوك الاجتماعي:

لاشك أن دراسة السلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات والمجتمعات ينبئنا بما سيكون عليه سلوك الناس في المستقبل؛ ذلك لأن مستقبل الناس مرتبط بماضيهم وحاضرهم وهو يؤثر في مستقبلهم وفي اتجاهات ذلك المستقبل من حيث شكله ومظهره وكيف يكون سلوك الناس ومدى تأثيرهم فيه من حيث تغييره أو تطويره أو ثباته ويكتسب هذا السلوك معناه من الإطار الثقافي والاجتماعي الذي ينمو فيه هذا السلوك ويستمر.

وتزداد معرفة السلوك الاجتماعي أهمية لدى المجتمعات التي تنشد التغير والتطور في العلاقات القائمة بين أعضائه والتي تشكل في مجملها تطور لعلاقات المجتمع وتقدمها، ذلك لأن التطور يتطلب تغيراً فكرياً في أفكار الناس واتجاهاتهم نحو المستقبل، وكذلك تغيراً اجتماعياً في قيم الناس ومعتقداتهم وتغيراً سياسياً وقانونياً في سلوك الأفراد وتصرفاتهم، تتضح ملامحه في إدراكهم لمعنى التغير وفي تبنيهم لاستخدامهم المنهج العلمي في حل المشكلات الاجتماعية التي تواجههم في الحياة.

معنى هذا أن مستقبل الأفراد والمجتمعات رهين بسلوك أفرادها وبمدى رغبة هؤلاء الأفراد أنفسهم في تغيير سلوكهم الاجتماعي وتطوره، وفي تبنيهم لكل المشكلات الاجتماعية التي تواجههم بالطرق العلمية التي تستخدم المنهج العلمي في الوصول إلى الحلول للمشكلات الاجتماعية. ومن هنا يتضح أهمية السلوك الاجتماعي في بناء المجتمع وتغيره.

مكونات السلوك الاجتماعي:

يتكون السلوك الاجتماعي للأفراد من عدد من العمليات السلوكية التي تحدث بين الفرد والآخرين ضمن مواقف الحياة التي يتعرض لها الفرد وتؤثر في سلوكه وهي:

أ- التفاعل الاجتماعي:

يقصد بالتفاعل الاجتماعي تلك العملية التي تحدث بين الأفراد بهدف تحقيق منفعة معنية أو المشاركة في نشاط محدد أو حتى في لقاء عابر يتضمن أفعال وردود استجابات ينتج عنه هدف يسعى إليه الطرفان أو أحدهما، ويتم التفاعل بين الأفراد في مستويات متعددة قد تكون تلقائية ودون وعي وقد تكون بمستوى واضح من الوعي والشعور الذاتي للفرد وتتوقف عملية التفاعل الاجتماعي على طبيعة المواقف والظروف التي يمر بها الفرد في جماعته باعتباره عضواً فيها، فكلما كان أعضاء الجماعة صغيراً كان التفاعل أكثر وضوحاً ومن ثم يمكن فهم السلوك الاجتماعي وتحليله بكيفية أكبر وذلك لظهور علاقات التأثير الواضحة في علاقة الوجه بالوجه المباشر. وتزخر معطيات الحياة اليومية بأمثلة متعددة من هذا النوع من التفاعل الذي يتم بين الفرد وغيره، فالابن مثلاً في أسرته يتفاعل مع أخوته ووالديه بهدف توجيهه أو نصحه أو إرشاده لقيام بعمل ما، وكذلك المعلم أثناء قيامة بشرح الدرس أو توضيحه للطالب ومناقشته فيه وغيرها من المواقف التي نشاهدها أو نمارسها مع الآخرين.

ب- الأنشطة الممارسة:

وتعني كل ما يصدر عن الفرد من أنماط سلوكية مختلفة، سواء كانت عقلية أو نفسية أو اجتماعية أو انفعالية بسبب التأثير الناشئ من علاقات التفاعل التي تحدث بين الفرد ومحيطه الاجتماعي الذي يؤثر فيه ويجعله يسلك سلوكاً معيناً، فكل تفاعل بين طرفين أو أكثر يتطلب وجود نشاط جديد يظهر في شكل سلوك اجتماعي مختلف عن السلوك الفردي الذي كان يمارسه الفرد بمفرده.

جـ- المشاركة الوجدانية:

لاشك أن كل موقف اجتماعي يسلكه الفرد ويتفاعل فيه مع غيره يرتبط بعلاقة وجدانية سارة أو مؤلمة تضفي على الموقف الاجتماعي شعوراً يعبر عن الحالة النفسية المتفاعلة مع الموقف نفسه، فقد يرتبط السلوك الاجتماعي الذي يمارسه الفرد ويؤثر فيه بموقف سار كما هو حال الطالب الذي يتحصل على النجاح أو يتم تقديم هدية له، وقد يعمه شعوراً مؤلماً حينما يفقد عزيزاً له أو يتعرض هو نفسه لموقف يهدد حياته أو أمنه.

د- الموقف الاجتماعي:

لا يحدث التفاعل الاجتماعي في فراغ وإنما يرتبط بعناصر الموقف الذي يشكله، فالتفاعل الاجتماعي الذي يحدث بين الأفراد لابد أن يرتبط بموقف محدد يصنعه أولئك الأفراد ويتفاعلون فيه ولو بشكل غير مباشر كأن يتم عبر أدوات الاتصال المكتوب أو المسموع أو المقروء أو غيره، مما يستلزم موقفاً اجتماعياً يتم فيه التفاعل ولو من طرف لآخر.

وبهذا يلاحظ أن مكونات السلوك الاجتماعي الذي يبديه الفرد في الموقف الذي يتعرض له يشتمل على عناصر متعددة تتفاعل مع الموقف ذاته وتمنحه شعوراً وجدانياً يعبر عن ظروف التفاعل ذاته وينتج عنه نشاطاً يمارسه الفرد برغبته أو بتأثير الآخرين عليه يتسم هذا النشاط بالجانب الانفعالي الذي يمنحه الجو النفسي الذي يثيره هذا الموقف سواء أكان سلبياً أم إيجابياً.

عوامل السلوك الاجتماعي:

أ- عوامل ثقافية:

تعد العوامل الثقافية من أهم عوامل تشكيل السلوك الاجتماعي الإنساني، إذ عن طريق هذه العوامل المتمثلة في القيم والعادات والمعتقدات الاجتماعية يتم إكساب الفرد سلوك مجتمعه عبر عمليات التنشئة الاجتماعية المتواصلة التي يمر بها في حياته وتكسبه

المهارات والخبرات اللازمة التي تهيئ له سبل التواصل مع أبناء مجتمعه وتحقق له التوافق النفسي والاجتماعي، كما تمده بمعايير السلوك وتحدد له دوره في المجتمع، ومن ثم تنشأ شخصيته على ما يتوقعه مجتمعه؛ ولهذا فإن سلوك كل من الذكر والأنثى يتحدد وفق المعايير والضوابط التي ترسم لكل منهما سلوكه الاجتماعي، ولقد وجد أن سلوك الأفراد يتأثر بنوع الثقافة وأساليب التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها الأفراد في مجتمعهم، فالأفراد الذين اعتادوا على ممارسة النموذج المثالي في مجتمعهم يتشكل سلوكهم على غرار هذا النموذج سواء في البيت أو المدرسة أو علي صعيد وسائل الاتصال الأخرى خلافا لمن تربى ومارس غير هذا النموذج في محيطه الاجتماعي الذي يعيشه.

هذا كما تعد خبرات التنشئة الأولية الأساس الذي تبنى عليه شخصية الأفراد في المجتمع، فإذا تعرض الفرد لخبرات سارة ومواقف اجتماعية سعيدة فإنها لا شك تؤثر في سلوكه العام وتنشئ شخصيته الاجتماعية على غرار هذه الخبرات والمواقف الحياتية التي يتوقع منها ذلك في مستقبل حياته مالم يحدث ما يعكر صفو هذه المواقف والخبرات في مراحل حياته الأخرى، ويحدث الشيء نفسه لمن تعرض لخبرات ومواقف مؤلمة تؤثر في مواقف التنشئة واتجاهها التي يتعرض لها من مجتمعه. كما أن الخبرات ومواقف التنشئة المتشابهة التي يتعرض لها الأفراد في الثقافة الواحدة تنتج سلوكا اجتماعيا متشابها إلى حد بعيد خلافا لما يحدث مع سلوك الأفراد الاجتماعي في الثقافات المختلفة التي تتبنى اتجاهات ومواقف اجتماعية مختلفة مع أساليب التنشئة التي يتعرض لها أبناؤها.

ب-عوامل اجتماعية:

يقصد بالعوامل الاجتماعية تلك العوامل التي تسهم في تحديد دور ومكانة ووظيفة كل فرد في المجتمع، وبناء على ذلك فإن تلك العوامل تختلف من مجتمع لآخر بحسب الثقافة السائدة فيه، وبمقتضى تشكيل السلوك الاجتماعي القائم الذي يتأثر بمحتويات وأساليب التنشئة واتجاهاتها في المجتمع؛ ولهذا فإن دور ومكانة الذكر في المجتمع يختلف عن دور ومكانة الأنثى فيه لا سيما في المجتمعات التي تكرس قيم الثقافة الذكورية وتعطي الأولوية للذكر في ممارسة أساليب التسلط والهيمنة على الأنثى والصغير وتحدد لكل منهما

وظيفته في المجتمع بناء على مكانة كل منهما ودوره فيه خلافا لما يحدث مع المجتمعات التي تنتج أساليب اجتماعية أكثر عدالة ومساواة، وتنظر إلى الفروق الفردية بين الذكر والأنثى على أنها فروق بيولوجية وليست اجتماعية يمكن لكل منهما أن يؤدي دوره ومكانته على أسس تكاملية وليست ثقافية.

جـ- عوامل اقتصادية:

يتأثر السلوك الاجتماعي للأفراد في أي مجتمع بناء على العوامل الاقتصادية التي يحددها أولئك الأفراد وينتهجون سياستها ومن ثم يلزمون غيرهم بها ليأثروا فيهم وفي أساليب تنشئتهم الاجتماعية بحيث يكون سلوكهم الاجتماعي متفقا مع المعايير والنظم الاقتصادية التي تسود مجتمعهم، ففي ثقافة المجتمع الرأسمالي مثلا يسود نظام الاستغلال المبني على شروط القوة التي تجيز لكل فرد استغلال غيره متى كان غير قادر على التنافس مع الآخرين، وبهذا يتحقق النظام الاقتصادي الرأسمالي الاستغلالي في السلوك الاجتماعي في المجتمعات التي تتبنى سياسة هذا السلوك وتمارسه مع الأفراد لتنتج طبقات اجتماعية في المجتمع الواحد بشروط اقتصادية يصنف فيها الأفراد بناء على المواقف الاقتصادية الرأسمالية. أما في المجتمعات التي تنتهج السلوك الاجتماعي الاشتراكي فإن سياسة الاستغلال والهيمنة الاقتصادية وظهور الطبقات الاجتماعية في المجتمع لم يعد لها تأثيرا واضحا بفضل انتهاج سياسة اقتصادية مبنية على نظام المساواة والعدالة والمشاركة الاقتصادية بين الأفراد في المجتمع؛ ولذلك فإن اتجاهات أفرادها الاجتماعية تتشكل وفقا لطبيعة النظام الاقتصادي الذي يحارب الاستغلال والعسف ويظهر ذلك واضحا في ممارسة السلوك الاجتماعي لأولئك الأفراد الذين تأثروا بسياسة النظام الاقتصادي الاشتراكي فكرا وممارسة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن عوامل القوة الاقتصادية على المستوى الأسري تتحدد بناء على الدور والمكانة التي يقوم بها كل فرد في الأسرة، فالأب بصفته مسئولا على أبنائه وزوجته في الأسرة؛ لذلك فإن الوظيفة الاقتصادية التي يؤديها هي التي تحدد مركزه في الأسرة ومن ثم يتأثر السلوك الاجتماعي للأبناء عبر وسائل التنشئة الاجتماعية الأسرية التي تحدد لكل فرد فيها دوره ومكانته في المجتمع بناء على عوامل اقتصادية.

د- عوامل سياسية:

السلوك الاجتماعي الإنساني في حقيقته مكون من تفاعل عدد من العوامل المتداخلة فيه والمؤثرة في تكوينه والتي تسهم كل منها في جزء من مكوناته وبذلك فإن العوامل السياسية والمتمثلة في طبيعة النظام السياسي ماهي إلا جزء من مكونات هذا السلوك، فحينما ينشأ الفرد في إطار سياسة اجتماعية معينة تتصف بممارسة الديمقراطية في الأسرة والمدرسة وبقية تنظيمات المجتمع الأخرى، فإن سلوكه سيتأثر بالتوجيهات التي تمارس في المجتمع وسيكون سلوكه مع الغير ديمقراطيا يرفض كل ما يخالف توجيهاته وأفكاره وينبذ كل سلوك مخالف له وبذلك فإن نتائج وآثار السلوك الديمقراطي ستكون واضحة في تصرفاته وأفعاله، هذا السلوك كان محصلة الممارسة الديمقراطية التي نشأ عليها الفرد ومارسها في بيئة التنشئة مع أفراد مجتمعه. أما الفرد أو الأفراد الذين نشأوا في بيئة غير ديمقراطية ومارسوا الدكتاتورية وتأثروا بها منهجا وأسلوبا فإن سلوكهم الاجتماعي سيتأثر بظروف التنشئة ومواقفها التي مارسوها مع الغير، وبذلك فإن آراءهم وتوجهاتهم التي يمارسوها في الحياة تعبر عن طبيعة مواقف النظام الاجتماعي السياسي السائد في مجتمعهم.

لكن هذا لا يلغ دائما أن الأفراد هم من صنع ونتاج التنشئة الاجتماعية وأن سلوكهم الاجتماعي مرتبط بما توفره ظروف التنشئة من عوامل سياسية تسهم في تكوينه وتتأثر به رغم أن ذلك ممكن في حالات كثيرة، وإلا ما كان أصحاب التغير والثورة الذين ينتهجون خطا سياسيا مخالفا لقواعد النظم والسياسات الاجتماعية في بلدانهم قادرين على تغيير سلوكهم الاجتماعي السياسي بأحداث ثورات سياسية واجتماعية تتبنى نهجا مخالفا لما اعتادوا وتعودوا عليه.

يفهم من هذا أن العوامل السياسية رغم أنها مؤثرة في تكوين السلوك الاجتماعي للأفراد، إلا أنها في حالات أخرى استثنائية غير فاعلة في التأثير على هذا السلوك إما بسبب رفض الأفراد لسلوك مجتمعهم منذ مراحل حياتهم الأولى أو بسبب ما تعرضوا له من تأثيرات أخرى في مراحل حياتهم اللاحقة أثرت في تفكيرهم واتجاهاتهم واعتبروا مارقين عن سلوك مجتمعهم وغير محافظين على نظامه السياسي.

هـ- عوامل قانونية:

تسهم العوامل القانونية كغيرها من العوامل الأخرى في إحداث السلوك الاجتماعي للأفراد بما تتضمنه من تشريعات قانونية واجتماعية وثقافية وسياسية وغيرها لإحداث ضوابط في النظم والمؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية بحيث تكون متفقة مع توجهات المجتمع وأهدافه تجاري السلوك الاجتماعي وتدعمه بوسائل قانونية تستهدف المحافظة عليه واستمراره بهدف تأكيد سلطة النظام؛ ومن ثم تدعيم سلطة التنظيمات الاجتماعية التي تبدأ من البيت ثم المدرسة وإلى آخر مراحل التنظيم الاجتماعي بحيث يخضع كل الأفراد إلى سلوك اجتماعي محدد طبقا لتنظيم هرمي محدد من الأعلى إلى الأسفل يجد الفرد فيه نفسه مرة آمر ومرة أخرى مأمور بحسب مركزه ودوره في البناء الاجتماعي الهرمي الذي يخضع له ويحترمه. وبذلك ينشأ سلوك اجتماعي يتطابق مع مواصفات وسلوك النظام ذاته، ويعيد نفسه في التنظيمات الأخرى بحيث يسهل قيادة الأفراد وتوجيههم لاسيما وأنهم قد اعتادوا على تكراره في مراحل حياتهم الأولى.

وبهذا يتشكل السلوك الاجتماعي ويتخذ صفة إلزامية تحميه وتدعمه القوانين الاجتماعية التي تتجسد في طبيعة النظام الاجتماعي نفسه.

و- عوامل دينية:

لا شك أن العوامل الدينية المتجسدة في قيم المجتمع ومعتقداته الدينية وأعراضه الاجتماعية تضغط هي الأخرى باتجاه نمذجة السلوك الاجتماعي وتدعيمه وتجعله أكثر تأثيرا في حياة الأفراد والمجتمعات بحيث يتسنى لهؤلاء الأفراد قبوله؛ ومن ثم تأكيده في قيم المجتمع ويخضعون له تحت تأثير توجهات علماء الدين والفقه بحيث تبقى قيم الطاعة والامتثال لها وقبول الأمر المتجسدة في قبول السلوك الاجتماعي، لا سيما تلك القيم التي تؤكد على احترام سلطة ولي الأمر ولو كانت في غير محلها حتى وإن تعارضت مع بعض آراء وتفسيرات علماء الدين والفقه باعتبار أن السلوك الاجتماعي الديني أمرا لا يقبل المناقشة فيه ولا يسمح لغير رجال الدين بالخوض في تفاصيله، وبذلك فقد أُستغل الدين في أغراض سياسية وتوجيهات فكرية دعمت من سلطة الاتجاه الديني وأكسبت الأفراد في

المجتمع سلوكا اجتماعيا دينيا جعلته في أحيان محايدا، وفي أحيان أخرى تابعا لطبيعة النظام السياسي وفلسفته.

وهكذا فقد اصطبغ السلوك الاجتماعي بعوامل متعددة دينية واجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية أثرت فيه وتفاعلت معه، وأكسبت الأفراد في المجتمع قبوله أو رفضه بحسب توجهات التنشئة الاجتماعية وأهدافها المعلنة أو المستترة.

العلاقة بين السلوك الاجتماعي الإنساني والسلوك الجماعي الحيواني:

لا شك أن السلوك الاجتماعي الإنساني يتميز بخصائص وصفات إنسانية تختلف عن السلوك الجماعي الحيواني رغم اتفاق كل منهما في بعض من الخصائص الفطرية المتشابهة التي تجمعهما في السلوك؛ ولهذا فإن علم النفس الاجتماعي حينما يقدم العلاقة التي تربط سلوك كل منهما بالآخر، فهو في ذلك يقدم فائدة علمية تفسر سبب مظاهر الاختلاف والاتفاق في السلوك يمكن تمييز السلوك الفطري الحيواني عن السلوك الفطري الإنساني الذي يتميز عن غيره من أنواع الحيوانات الأخرى باعتباره سلوكا اجتماعياً متعلما من البيئة الاجتماعية يقبل التغيير والتطوير على خلاف ما يحدث مع السلوك الفطري الحيواني الذي يفتقد إلى هذه الخاصية.

ومع ذلك فإن هناك تشابها مشتركا يمكن ملاحظته في سلوك كل منهما يتمثل هذا التشابه في الحياة الاجتماعية التي يعيشها كل منهما في الوسط الاجتماعي، ويكون قائدا أو تابعا للجماعة التي ينتمي إليها كما يتصف سلوك كل منهما بجوانب فطرية ترتبط بالغزل والجنس واللغة وغيرها من نماذج السلوك المتشابه.

ويلاحظ أن سلوك بعض الحيوانات يعيش في شكل جماعات متقاربة كما هو الحال مع جماعات النمل والنحل والطيور والجراد والأسماك أو في شكل قطعان تحمي بعضها كما هو الحال مع القردة والأسود والأفيال والغزلان والكلاب الوحشية والذئاب، وأحيانا تعيش هذه الجماعات في شكل مختلف عن بعضها يربطها صفة النوع كما هو الحال في حياة الفيلة التي تعيش في شكل جماعات مكونة من الإناث وصغار الفيلة وتأتمر بأكبر الإناث

سنا ويكون ارتباطها بالذكور في فترات محددة حينما يحل موسم التزاوج فقط، وعادة ما يربط بين الذكور والإناث علاقات حميمية يهيئ كل منهما نفسه لصحبة الآخر والتزاوج معه، كما يشتمل بعضها الآخر على سلوك التعدي والصراع من أجل المكانة والسيطرة على القطيع أو الفوز بالإناث في موسم التزاوج كما هو الحال مع الكلاب وبعض الحيوانات الأخرى. "القذافي ، الدويبي: "1999، 373".

ويلاحظ التشابه بين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني في مناطق النفوذ والسيطرة التي يدافع كل منهما عنها، ففي بعض الأنواع من الحيوانات يحتفظ الذكر بمناطق نفوذ خاصة به وفي بعضها الآخر يشترك كل من الذكر والأنثى فيها، وقد يحدث أن تشترك مجموعة واحدة من الحيوانات في مناطق نفوذ خاصة بها تدافع عنها وتحميها من الآخرين "القذافي ، الدويبي: 1999، 339" كما هو الحال مع الضباع والذئاب والقردة وغيرها. كما يلاحظ مظاهر التعاون واضحة لدى كل من السلوك الإنساني والحيواني، فالإنسان بوصفه فردا لا يستطيع أن يعيش بمفرده فهو في حاجة للتعاون مع الآخرين كي يحمي نفسه من أخطار غيره ويلبي حاجاته ويحقق طموحاته في كل شيء حفاظا على أمنه ووجوده وبالمثل، فإن السلوك الحيواني في حاجة للتعاون، فالنملة التي لا تقوى على حمل شيء ثقيل إلى مقر سكناها تقوم غيرها بالتعاون معها والمساعدة لها بنقل ما يمكن نقله حتى تصل إلى الهدف، ويحدث هذا أيضا مع الكلاب والذئاب والضباع وغيرها أثناء الصيد، إذ تتعاون جميعا في رد المعتدي وتقاومه حتى تفلح في تحقيق هدفها، كما أنها تتعاون في الإمساك بفريستها وتظل تبحث عنها حتى تقضي عليها، وتقوم بنقلها مجتمعه إذا استعصى الأمر على أي منها منفردة.

وكما يستخدم الإنسان بعض مظاهر القوة ويتجنب بعض مظاهر الضعف في نفسه أمام الآخرين كذلك تفعل بعض الكائنات الأخرى نفس مظاهر السلوك، إذ ترى بعض الحيوانات كالكلاب والقطط وغيرها تكشر عن أنيابها حين مهاجمتها أو محاولة الاعتداء عليها، والوسيلة نفسها تستخدمها بعض أنواع النمل حينما يتم الهجوم عليها أو الاقتراب

من أماكن سكنها والاعتداء على صغارها، وبنفس الأسلوب تتداولها حشرات النحل وبعض الحيوانات المفترسة الأخرى كالذئاب والضباع وغيرها.

وبالمقابل فقد يلجأ الإنسان حين ضعفه إلى وسائل المكر والخديعة لإيهام غيره بأنه مريض أو مصاب بألم شديد قد يفقده حياته أحيانا، كذلك تلجأ بعض الحيوانات كالثعالب إلى مثل تلك الأساليب من المكر والخداع بإرسال بعض الروائح النتنة التي تبعد الآخرين عنها حتى تتسنى لها فرصة الهروب من الخطر الذي يهددها، كذلك تفعل بعض الحشرات الأخرى إذ تتظاهر بالموت وقلة الحركة حتى تستأنس من الخطر المحدق بها.

ومن مظاهر التشابه أيضا بين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني ما تفعله بعض الحيوانات مع بعضها إذ تتزعم جموع الحيوانات وتحظى بمكانة مرموقة بينهما كما يحدث مع سلوك الإبل أو ذكر الغنم أو الماعز، إذ يلاحظ هيجان الذكر لا سيما في حالة التزاوج وتزعمه لكل الحيوانات الأخرى وتقاتله معها ومنع غيره من الفوز بالإناث حتى تحين القوة لسيطرة غيره وتزعمه على القطيع، ولا يحدث هذا إلا بعد التقاتل والاستسلام وهزيمة الطرف الضعيف، أو قد يكون بسبب كبر سن الذكر وتولي الذكور الأخرى محل السيطرة والقوة على القطيع أو بعضه، وهذا السلوك الفطري يتشابه إلى حد بعيد مع السلوك الفطري الإنساني.

سلوك الدور وعلاقته بالسلوك الاجتماعي الإنساني والحيواني:

تمارس بعض الحيوانات نوعا من التنظيم الاجتماعي الفطري الذي تمليه الخصائص العضوية التي تميز الذكر عن الأنثى وتحدد لكل منهما أدواره ووظائفه ومسئولياته وعلاقاته مع الغير، فجماعات النمل مثلا تتميز بأدوار ووظائف مختلفة بين الذكر والأنثى يتحدد بموجبها سلوك كل نوع على حدة بحسب الوظيفة البيولوجية التي تؤثر في طبيعة الدور الملائم لها، فالأنثى لها مسئوليات ووظائف محددة تختلف عن مسئوليات ووظائف الذكر، كما هو الحال في تقسيم العمل في المجتمع الإنساني، إلا أن الفارق بينهما أن السلوك الحيواني سلوك فطري غير متعلم ويتميز بالتكرار والتشابه في كل مجتمعات النمل.

ويكتسب سلوك الدور أهميته في الإنسان والحيوان بفعل التخصص الذي يحدد مسئولية كل منهما نحو الآخر، ففي مجتمعات الطيور وخاصة طائر البطريق تكون المسئولية متساوية بين الأبوين في حضانة البيض والدفاع عن العش، وتغذية الصغار في حين تكون هذه المسئولية في أنواع أخرى من الحيوانات مختلفة إذ يتولى الذكر بعض المهام والمسئوليات التي لا تقدر عليها الأنثى، ويكون العكس كذلك، كما هو الحال في السلوك الاجتماعي الإنساني.

الاتجاهات النظرية المفسرة للسلوك الاجتماعي:

أ- اتجاه نظرية التحليل النفسي لدى فرويد:

أسهمت نظرية التحليل النفسي لدى فرويد في كشف المزيد عن طبيعة السلوك الاجتماعي الإنساني، إذ رأت هذه النظرية أن سيكولوجية الجماعة أسبق من سيكولوجية الفرد، فالفرد الإنساني في المرحلة الطبيعية الأولى عاش على الفطرة ولم يعرف الحياة الجماعية ولم يكن له تنظيم اجتماعي، لذلك فإنه لم يعرف السلوك الاجتماعي إلا في المرحلة الاجتماعية حينما اشتدت الحاجة إلى الجماعة ورأى فيها ضماناً لوجود حياته وأمنه، لذلك فإن السلوك الاجتماعي الذي تعلمه ضمن وجوده في إطار الجماعة هو الذي هيأ له إمكانية الحياة معها ونفوره من الحياة الفردية، ومكّن له معرفة التعاون مع الآخرين وتكوين العلاقات الاجتماعية معهم قبل معرفته لها في المرحلة الطبيعية الأولى التي افتقد فيها إلى كل عوامل السلوك الاجتماعي المتعلم؛ لذلك فإن السلوك الاجتماعي الذي تعلمه الفرد مع الآخرين فيما بعد المرحلة الطبيعية أصبح يفرض نفسه على الفرد وصار الفرد يتقبله ويدافع عنه ليس بمحض إرادته لحبه بالعيش في وسط الجماعة ووضع القيود والشروط عليه ولكن رأى في وجود قيود الجماعة وشروطها عليه ضماناً لأمنه وحريته ومن ثم عدم رجوعه إلى الحالة الطبيعية الأولى التي تمثل في نفسه كل مظاهر الخوف وعدم الاستقرار، فالعيش في وسط الجماعة هو الذي أفرز الأمن للفرد وأبعده عن حالة الخطر التي كانت تهدده وليس الأمن هو الذي فرض على الإنسان العيش في جماعة، ويأتي هذا بسبب قصور ذات الفرد وقلة حيلته في العيش بمفرده الذي عبر عنه فرويد بأن الإنسان في حاجة دائماً للآخرين.

فالسلوك الاجتماعي للجماعة يأتي من قوة تأثير أعضائها على الفرد وليس من قوة تأثير الفرد على الأعضاء وهذه الصفة هي التي أكد عليها دور كايم عندما أشار إلى أن السلوك الاجتماعي للأفراد لا يكتسب أهميته من الفرد ولكن يكتسب أهميته من مجموع أفراده، فهو لذلك يتصف بصفة جماعية وليس بصفة فردية.

ومن هذه الفكرة انطلقت اتجاهات نظرية التحليل النفسي في تفسيرها للسلوك الاجتماعي الإنساني، إذ إن تأثير الجماعة على سلوك الفرد أبلغ من تأثير الفرد على سلوك الجماعة، وهذا يعني أن كثيراً من جوانب السلوك الفردي المؤثر لا يظهر إلا ضمن وجود هذا السلوك في الوسط الجماعي.

ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه أن أفراد الجماعة بمفردهم يعانون القلق والخوف بدرجات متفاوتة وتزداد درجة تفاوت هذا القلق بمدى ارتباط الأفراد بالجماعة، فكلما كانت علاقة الفرد بالجماعة علاقة ضعيفة يزداد الخوف ويحدث العكس أيضاً ولكنهم جميعاً يساورهم هذا الشك، ولهذا يعمل أفراد الجماعة جميعاً على التقليل من حدوث هذا الخوف الذي يؤثر على وجودها ويتحصنون لمقاومته، وإذا ما حدث خوف أو شك في تكوين الجماعة أو استمرارها فإنه يلقي باللوم على بعض أفرادها الذين يعتقدون أنهم سبب فشلها أو استمرارها كما يحدث في حالة انقسام الجماعة وارتباط بعضهم بعناصر خارجية تعمل على تفتيت وحدتهم والقضاء عليهم؛ لذلك فهم يخافون هذا العمل ويتشاءمون كثيراً فيعملون على التضامن والتوحد وتحديد المسئولية بين أعضاء الجماعة ضماناً لاستمرار الجماعة الذي يعد استمراراً لسلوك أفرادها داخل الجماعة الذي يعد استمرارا لسلوك أفرادها داخل الجماعة ذاتها ومن هنا جاءت العلاقة بين السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي واعتبر السلوك الاجتماعي أساساً للسلوك الفردي في الجماعة.

ب- اتجاه نظرية المجال لكرث ليفين:

ترتبط نظرية المجال لدى كرث ليفين بالمجال السيكولوجي الذي يعني من وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه كل الأحداث والمواقف التي تتفاعل مع بعضها البعض في لحظة معينة فينتج عنها ظروف محددة تحيط بالفرد وتؤثر فيه تأثيرا سيكولوجيا بوصفها أحداث

وتفاعلات تعتمد بعضها على بعض وتؤثر في الموقف الكلي الذي يترتب من خصائص الفرد وبيئته الاجتماعية فينتج السلوك الاجتماعي المصاحب للفرد، وهذا السلوك لم يكن وليد لحظة معينة بل إن ظروف المكان وعوامل الزمن وطول الفترة المصاحبة للموقف هي التي تحدد اتجاه السلوك وسرعته لدى الفرد، فظروف البيئة المكانية وعوامل زمن الماضي والحاضر والمستقبل كلها أجزاء تحيط بالمجال النفسي وتوجه سلوكه نحو المستقبل، ولذلك فإن كل التفاعلات التي تحدث في الوسط الاجتماعي الذي يعيشه الفرد تؤثر في سلوكه سلبا وإيجاباً، فإذا كان التفاعل الذي يحدث بين الأفراد في الجماعة يتخذ صفة إيجابية خلال الموقف الذي يتعرض له الفرد فإن ذلك يخلق تشابها في الاتجاهات والأهداف بين أفراد الجماعة وفي سلوكهم الاجتماعي وقد يكون خلاف ذلك إذا ما كان التفاعل سلبياً؛ ولهذا فإن تحليل الموقف التفاعلي هو الكفيل بمعرفة السلوك الذي حدث فيه هذا التفاعل ولابد أن يبدأ التحليل بالموقف الكلي الذي حدث فيه السلوك ثم ينتقل التحليل إلى الأجزاء الصغيرة المكونة له. والموقف التفاعلي عند ليفين يشمل مجالات متعددة تخلق السلوك التفاعلي منها المجال السيكولوجي والمجال الفيزيقي والمجال الفسيولوجي التي تتكامل مع بعضها لأحداث الموقف؛ ولذلك يجب تفضيل المجال السيكولوجي على المجالين الفيزيقي والفسيولوجي عند تحليل السلوك الاجتماعي الذي يتركب من جملة هذه المجالات التي تعتمد على بعضها البعض.

جـ- اتجاه نظرية التعلم الاجتماعي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن السلوك الاجتماعي الإنساني يمكن تعلمه من خلال ملاحظة الأنماط السلوكية الصادرة عن الأشخاص الآخرين في أثناء عملية التفاعل الاجتماعي التي تحدث بينهم وبين محيطهم الاجتماعي سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

ويعتقد أصحاب هذا الاتجاه أيضا أن السلوك الاجتماعي المتعلم يحدث من خلال تعلم النماذج التي يتبناها الأشخاص ويمارسوها ضمن عملية التعلم التي يخضعون لها بدعم ذاتي؛ ولذا فإن الأفراد عادة ما يراقبون نتائج السلوك الاجتماعي المتعلم الصادر عنهم،

ويشترط في الاقتداء بالسلوك الاجتماعي المتعلم ثلاثة جوانب أساسية هي نوع الجنس المراقب للسلوك ومدى قوته على التأثير في الآخرين والرغبة التي تمنحه الاقتداء به.

وفي ضوء ذلك فإن أصحاب هذا الاتجاه يرون أن احتمال تعلم السلوك الاجتماعي بالملاحظة يزداد عندما تكون النماذج متطابقة مع المتعلمين في الجنس وكذلك في القيم والمزاج والمستوى الاجتماعي والاقتصادي وغيره بيد أن تأثيرها يكون أقوى عندما تكون النماذج السلوكية المتعلمة ناجحة وقوية ما يعني أن الأفراد قد يقتدوا بالسلوك الاجتماعي الأكثر قوة وكفاءة بصرف النظر عن الجنس الممارس للسلوك.

ويأتي ضمن هذا الاتجاه ما كشف عنه **سيمونز** أحد أنصار هذا الاتجاه في تحليله لأبعاد اتجاه التعلم الاجتماعي عندما أشار إلى أن السلوك الاجتماعي المتعلم في الأسرة يأتي من خلال ما يشاهده الأفراد ويقتدوا به من الوالدين فكلما كانت علاقات أفراد الأسرة تخضع لنمط مقبول يتسم بالتعاون والتسامح بين الأفراد كانت الفكرة التي يكونها الأفراد في محيط الأسرة أكثر قبولاً للتعامل مع الآخرين وأكثر احتمالية لأن يتعاملوا بها مع أفراد أسرهم.

ويرى **سكنر** أحد أئمة المدرسة السلوكية في هذا المجال أن السلوك الاجتماعي المتعلم يكتسب أهميته من خلال التدعيم والإثابة التي يتعلمها الأفراد في محيط البيئة الاجتماعية فكلما كانت الاستجابات المتعلمة مرغوب فيها أدى إلى زيادة حدوثها وتكرارها ومن ثم تعميمها في المواقف المتشابهة لها إما الاستجابات للسلوك المعاقب فإنها تختفي ويقل حدوثها وتكرارها كلما ارتبطت بالعقاب.

يعني هذا أن نواتج السلوك الاجتماعي المتعلم يمكن أن تيسر أمام المتعلمين الاقتداء بها أو قد تكف عن ذلك السلوك.

وتبعاً لذلك فإن السلوك الاجتماعي المتعلم يخضع لمواقف التعلم التي يمر بها الأفراد في مجتمعهم ويرتبط تعلم السلوك الاجتماعي بالنوع وتمثل الدور ونموذج المحاكاة وكذلك المكافأة والعقاب، فالسلوك الاجتماعي الذي يتعلمه الذكور في بيئة التنشئة الاجتماعية غير

السلوك الاجتماعي الذي تتعلمه الإناث في البيئة ذاتها، وعلى هذا الأساس فإن تيرز يرى أن المجتمع الذي تسوده أنماط متعددة عن السلوك الاجتماعي يؤكد على تنوع الأدوار فيه ويتم تدعيمها من قبل أفرادها، فالسلوك الاجتماعي المختلف بين الأفراد في بيئة التنشئة يرتبط بأسلوب المعاملة وكيفية التصرف والتفكير واختيار العمل والمهنة وكذلك في أسلوب الضبط والتحكم ونوع القيادة والتبعية وحتى في اختيار الملابس وأنواعها وألونها ما يجعل أفراده يكتسبون صفات النوع ويتأثرون به.

وهكذا تصور أصحاب اتجاه نظرية التعلم الاجتماعي السلوك الاجتماعي الملاحظ والمتعلم في آن واحد، فصورة السلوك الاجتماعي المتعلم لدى الذكور والإناث تبقى ماثلة في ذهن كل منهما منذ مراحل حياة الطفولة التي لاحظ فيها هذا السلوك أو تعلمه، ومن ثم فهو يعكسها في صورة مشابهة لما تعلمه أو لاحظه حينما يتاح له فرصة تعلم السلوك الاجتماعي للغير.

د- اتجاه نظرية الدور:

يعتقد أنصار اتجاه نظرية الدور الاجتماعي أن السلوك الاجتماعي للأفراد يخضع لأدوار مختلفة تحددها طبيعة المواقف الاجتماعية نفسها، فالحياة الاجتماعية مليئة بالمواقف التي تجعل الأفراد يؤدون أدوارهم فيها بطرق مختلفة ويخضعون فيها لمواقف معينة قد تختلف عن طبيعة سلوكهم الحقيقي، فالمعلمون مثلاً يخضعون لمواقف معينة أثناء قيامهم بعملية التدريس التي تفرض عليهم سلوكاً اجتماعياً يتوافق وطبيعة الموقف المحدد لهم مع طلابهم في الفصل، أما حينما يتعرضون لموقف آخر خارج الفصل كأن يكونوا هم طلاب فإن سلوكهم الاجتماعي يختلف عن سلوكهم وهم مدرسون وقد يُبدي كثير منهم سلوكاً اجتماعياً لا يتطابق مع سلوكهم السابق حينما كانوا مدرسين في الفصل إذ يبدي بعض منهم أو أكثرهم سلوكاً يتطابق مع سلوك الطلاب في الفصل تماماً، وهذا يعني أن السلوك الاجتماعي للأفراد يتشكل وفقاً لطبيعة الدور الذي يؤدوه في الموقف الاجتماعي نفسه - وبموجب ذلك تصبح كل الأدوار التي يمارسها الأفراد في المواقف الاجتماعية خاضعة لطبيعة المكانة التي يشغلها الأفراد أنفسهم دون النظر إلي طبيعة السمات والخصائص

الشخصية التي يتميزون بها في المواقف ذاتها؛ ولهذا يلاحظ الصراع في طبيعة المواقف الاجتماعية ذاتها بسبب الاختلاف بين ما يمارسه الأفراد أنفسهم وما يتوقع الآخرون منهم مما يثير مشاعر الضيق وعدم الارتياح لدى الأفراد نتيجة غياب الاتساق في التصرفات السلوكية التي يمارسها الأفراد في المواقف الاجتماعية المختلفة.وعلى هذا الأساس فإن ممارسة الأدوار الاجتماعية المختلفة تهيئ السلوك الاجتماعي للأفراد إلى تغيير اتجاهات الأفراد نحو المواقف الاجتماعية المراد تغييرها.

يتضح مما تقدم اختلاف وجهات نظر العلماء حول تفسيرهم لطبيعة السلوك الاجتماعي من زوايا متعددة فقد يحاول كل منهم أن يتخذ من رؤيته الأحادية منطلقاً فكرياً سيطر على اتجاهه عند تحليله وتفسيره للسلوك الاجتماعي ومع ذلك فقد أدت الاختلافات في تفسير السلوك الاجتماعي إلى إثراء الاتجاهات الفكرية وأسهمت بدور واضح في مضمون السلوك الاجتماعي وأبعاده المتعددة ولكن أي منهم لم يقدم تفسيراً كافياً متكاملاً لها. ومن هنا فإن هذه الاتجاهات تكمّل بعضها البعض وتسهم كل منها في تفسير وتحليل جزء من مكوناته التي تتكامل فيما بينها كأطر نظرية يضاف بعضها إلى بعض ويضفي عليها مزيداً من الفهم والتعمق والتفسير الشامل لمكوناته الاجتماعية.

الفصل الثالث

التنشئة الاجتماعية

مفهوم التنشئة الاجتماعية:

يشير مفهوم التنشئة الاجتماعية إلى العملية التي بموجبها يتحول الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي بفعل المدخلات التي تحدثها آليات التنشئة الاجتماعية المختلفة في الوليد البشري أثناء تفاعله مع استعداداته الفطرية الكامنة فيه بحيث تنتج في النهاية تغيرات نفسية واجتماعية وأخلاقية وعاطفية تكون محصلتها شخصيته الاجتماعية المميزة.

وبهذا فإن التنشئة الاجتماعية تعني عملية تعلم اجتماعي يتم فيها استدخال معايير المجتمع وقيمه وعاداته ومختلف القواعد العامة التي يخضع لها الأفراد في المجتمع بحيث يستجيب هذا الكائن بكل قدراته واستعداداته ويتفاعل معها بمشاعره وأحاسيسه ويكون مقبولاً في نظر أعضاء مجتمعه يمارس دوره ويكتسب خبرات جديدة تساعده على التفاعل مع أعضاء مجتمعه في كل مراحل حياته المختلفة.

والتنشئة الاجتماعية بهذا المعنى تعني عملية تغير مستمرة يخضع لها الفرد منذ بداية تنشئته وحتى آخر مراحل حياته، وهو في هذا يتعرض لمواقف وأدوار جديدة تتناسب مع سنه وظروفه النفسية والاجتماعية المختلفة فيتفاعل معها بعقله ومشاعره فتؤثر فيه ويؤثر فيها بحسب درجة قبوله لها وبمدى إصرار آليات التنشئة على التأثير فيه وبقدرتها على التحكم والضبط السلوكي المراد استدخاله فيه.

وهكذا تكون التنشئة الاجتماعية في المجتمع سابقة على وجود الفرد ومحكومة بقواعد ونظم محددة يخضع لها الفرد وتوجه مساره واتجاهاته منذ اللحظة التي يعي فيها نفسه، وتستخدم في تحقيق هذه الغاية صوراً وأشكالاً متعددة من الثواب والعقاب.

تعريفات التنشئة الاجتماعية:

اختلف العلماء في وضع تعريف محدد يفسر معنى التنشئة الاجتماعية، إذ جاءت تعريفات التنشئة الاجتماعية بصياغات ومعان مختلفة بعضها يؤكد عدم التدخل في سلوك

الطفل وتركه بنفسه يقوم باكتساب سلوك مجتمعه بحرية مطلقة وبعضهم يؤكد على ضرورة التدخل بتعلم الطفل سلوك مجتمعه وفق مبادئ محددة يلعب فيها الكبار الدور الأساسي في تشكيل السلوك وبعضهم الآخر يرى ضرورة الجمع والتوفيق بين عملية التدخل وعدم التدخل في السلوك الإنساني الذي يقوم به وكلاء التنشئة الاجتماعية في المجتمع وذلك بسبب الصراع الناشئ بين ذات الفرد والآخرين.

ووفقا لهذه الآراء والتوجهات استندت كل فكرة لرأي معين اعتمدته ونادت به في أسلوب التنشئة الاجتماعية وظهر لها اتباع ومؤيدون انقسموا إلى أقسام عدة فها هو **جون لوك وواطسن** يرا أن الطفل يمثل صفحة بيضاء وخامة جديدة يمكن تشكيله في أي اتجاه ووضعه في أي قالب لأنه في هذه المرحلة فارغ العقل يمكن تزويده بأي محتوى ذهني وبأية أفكار جديدة تشكل سلوكه بالطريقة التي يراها ويرضى عنها الآخرون وفق جداول محددة من الثواب والعقاب الذي يدعم السلوك ويوجهه، وهذا يعني أن الطفل قابل للتشكل على نحو مطلق وفقاً لما يتم استدخاله فيه دون تقدير لمحتوي القدرات والاستعدادات الفطرية التي توجد بداخله. أما وجهة النظر الثانية التي يتزعمها **جان روسو وبستالوزي وفريدك وجيزل** رأوا أن الطفل يمتلك قوى واستعدادات فطرية منذ ولادته، هذه القوى تجعله قادراً أن يلتمس طريقه بنفسه ويحقق أهدافه الخلاقة التي تنمو فيها شخصيته، وأن تدخل الآخرين في تنشئته يحد من قدراته على النمو، ولذا فإنهم يؤكدون على عدم التدخل في تعليم الطفل وتوجيهه لأن ذلك من شأنه أن يشل نموه ويحد من إشباع احتياجاته "صوالحة، حوامدة: 1994، 16".

وترى وجهة النظر الثالثة التي يؤيدها **توماس هوبز وسيلي وفرويد** أن الطفل يملك طبيعة فاسدة يمكن أن تهدد كافة القيم لأن همه إشباع حاجاته ومطالبه والقضاء على كل من يقف في سبيل تحقيق هذه الرغبات والمطالب، لذا فإن هدف التنشئة الاجتماعية إخضاع الطفل وإجباره على الانصياع مبكراً لتبني سلوك مجتمعه من خلال تحطيم إرادته واستخدام وسائل العنف معه وإجباره على تقبل الخضوع للوالدين عبر أسلوب التنشئة الاجتماعية في الأسرة.

وتؤكد سيلي أن تحطيم إرادة الطفل هو السبيل الوحيد لخضوعه لطاعة الوالدين في الأسرة من خلال عمليات التنشئة التي يتعرض لها ضمن عمليات الضبط والعنف لكبح جماحه والسيطرة على رغباته البهيمية. "صوالحة، حوامدة: 1994، 18".

وينطلق **فرويد** من نفس الفكرة ذاتها حيث يبرهن على أن رغبات الطفل وغرائزه هي التي تحدد أفعال سلوكه ما يجعله أنانيا وذو طبيعة تخريبية مضادة للمجتمع هدفه إشباع غرائزه الشهوانية التي تدفعه لتحقيق مبدأ اللذة وتجنب الألم.

واستنادا على هذه الرؤى المتعددة، فقد جاءت تعاريف التنشئة الاجتماعية مختلفة في معانيها واتجاهاتها معبرة عن كل الاختلافات الفكرية المنبثقة من أفكار وتصورات أولئك العلماء. وفيما يلي توضيح ذلك من خلال عرض تلك التعريفات.

1-تعريفات تحمل في مضامينها فكرة استدخال ثقافة المجتمع في ذات الفرد.

وتعرّف التنشئة الاجتماعية بأنها:

* عملية تشكيل سلوك الفرد عن طريق ثقافته حتى يتمكن من الحياة في هذه الثقافة" "أبومغلي وآخرون: 2002، 15".

* عملية اجتماعية يتم من خلالها تعلم الطفل الدور الاجتماعي واكتسابه أنماطاً سلوكية مرغوباً فيها من خلال الجماعة الأولى في حياته وهي الأسرة حيث يقوم الوالدان بتعليم الطفل كيفية مواجهته المواقف المختلفة"" في مجلة العلوم الاجتماعية:2002، ص74".

* عملية نقل كافة المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التي تسود المجتمع إلى الطفل وهي ذات اتجاهين متداخلين أحدهما تطبيع الطفل بالطابع الذي يتمشى مع ثقافة المجتمع بصفية عامة وثانيهما توجه نموه في داخل هذا الإطار في الاتجاهات التي تتمشى مع ثقافة الأسرة ذاتها أو الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه""صوالحة وحوامدة 1944 ص25".

* عملية التشكيل الاجتماعي لخامة الشخصية وهي كذلك عملية تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي وإكساب الإنسان صفته الإنسانية""أبو جادو: 1998، ص 17".

* أنها منظومة من العمليات التي يعتمدها المجتمع في نقل ثقافته بما تنطوي عليه هذه الثقافة من مفاهيم وقيم وعادات وتقاليد إلى أفراده" "وطفة والشهاب: 2004، 235".

* عملية تربوية اجتماعية يتم من خلالها وضع الفرد في قالب ثقافي معين، يكتسب من خلالها الخصائص الأساسية لمجتمعه مثل اللغة القيم الاتجاهات المعايير العادات التقاليد المهارات الاجتماعية والتي تمكن الفرد من التوافق النفسي والاجتماعي مع المجتمع الذي يعيش فيه ويسلك بطريقة تتسق فيها معايير السلوك الاجتماعي المفضل في المجتمع""تركية: 2004، 234".

* هي العملية التي يكتسب الفرد بموجبها الحساسية للمثيرات الاجتماعية كالضغوط الناتجة من حياة الجماعة والتزاماتها، وتعلم الطفل كيفية التعامل والتفاهم مع الآخرين، وأن يسلك معهم في العملية التي يصبح الطفل بموجبها كائنا اجتماعيا، وتتضمن هذه العملية المهارات الاجتماعية والاستجابة للمثيرات الرمزية""العيسوي: بدون تاريخ، ص 184".

2- تعريفات تحمل في مضامينها فكرة تأثير الفرد في تغير ثقافة المجتمع

وتعرّف التنشئة الاجتماعية بأنها:

* عملية يتم من خلالها نقل الثقافة عبر الأجيال وخلقها وتغييرها" "داود: 2002، ص 209".

* عملية تحويل الكائن البشري من حالة الطفولة والرضاعة ومن حالة الضعف والأنانية إلى حالة الراشد المثالي الذي يدين بالامتثال المصقول مع وجود سمات الاستقلالية والابتكار والإبداع" "صوالحة وحوامدة: 1994، ص 21".

* عملية قيادية وتوجيه نمو الشخصية الاجتماعية للطفل ليصبح عضواً مقبولاً ومؤثراً في مجتمعه، ويتعلم خلالها خبرات ضبط النفس كما يكتسب مهاراته ومعارفه وأذواقه وطموحاته التي تؤهله للمشاركة في حياة أسرته ومجتمعه" "صوالحة وحوامدة 1994، ص 26".

3- تعريفات تحمل في مضامينها فكرة تفاعل ثقافة المجتمع مع محددات شخصية الفرد:

وتعرّف التنشئة الاجتماعية بأنها:

* عملية تعليم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل الراشد، وهي عملية دمج الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية مستمرة" "أبو مغلي وآخرون: 2002، ص15".

* العملية التي يتعلم من خلالها الفرد كيف يربط طيلة حياته بين مجموعة من العناصر السوسيو ثقافية للوسط الذي يعيش فيه، وكيف يدمج بالتالي تلك العناصر في بنية الشخصية وكل ذلك يتأثر من تجاربه ويتأثر من العوامل الاجتماعية الدالة بحيث يستطيع التكيف من خلال كل ذلك مع الوسط الذي عليه أن يعيش فيه"" حديه: 1997، ص 17".

* عملية تفاعل اجتماعي تتم بين الطفل والقائمين على رعايته من خلال مجموعة من الأساليب يتشربها الطفل ويتأثر بها وتهدف تلك العملية إلى تربية هذا الطفل"" شريف: 2002، ص 8".

* عملية تعليم وتعلم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف الى اكتساب الفرد سلوكاً ومعايير واتجاهاتاً مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية" "بوزبون: 2004، ص 30".

* عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي لأدواره الاجتماعية ويتمثل ويكتسب الأدوار الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار، أنه يكتسب الاتجاهات النفسية، ويتعلم كيف يسلك بطريقة اجتماعية توافق عليها الجماعة ويرتضيها المجتمع" "أبو جادو: 1988، ص16".

* العملية التي يتم فيها دمج الفرد في ثقافة المجتمع ودمج المجتمع في أعماق الفرد" "وطفة والشهاب: ص235".

* عملية تتناول الكائن الإنساني البيولوجي لتحويله إلى كائن اجتماعي وهي عملية تعلم قائم علي التفاعل الاجتماعي تسعى إلى إكساب الفرد طفلاً أو راشداً سلوكاً ومعايير وقيماً تجعله قادراً على مسايرة جماعته، كما تكسبه السلوك المناسب لأدواره الاجتماعية، ولتوقعات أعضاء جماعته، كما تسعى إلى إيجاد ضوابط داخلية للسلوك واستعداد لطاوعة الضوابط الاجتماعية الخارجية وحساسيته للاستجابة لها""صوالحه وحوامده: 1994، ص 24".

* هي عملية استدخال للمعايير الاجتماعية كجزء من الشخصية وتعبر عن الهوية خلال تنشئته يبني ويكون تفكيره الاجتماعي كتمثيلات حول الذات في علاقتها بالآخر والمحيط الاجتماعي، وعملية البناء هذه يمكن فهمها على أنها المجال الداخلي الإجرائي للفرد أي حصيلة الصور والمفاهيم والأحكام المتعلقة بالذات والمحيط الاجتماعي" "الكاتبي: 2000، ص44".

تحليل مفهوم عملية التنشئة الاجتماعية من خلال التعريفات السابقة:

استناداً إلى الرؤى المختلفة في تعريف عمليات التنشئة الاجتماعية التي يخضع لها الكائن البيولوجي البشري لتحويله إلى كائن اجتماعي عبر سلسلة من العمليات الموجهة له، فقد انقسمت تعريفات التنشئة الاجتماعية إلى أقسام ثلاثة احتوى كل قسم من هذه التعريفات على عدد من الأفكار والمفاهيم المختلفة التي ترمي إلى أغراض متعددة رغم

توحد مدخلات عملية التنشئة الاجتماعية ذاتها لا سيما في المراحل المبكرة لحياة الفرد. وفيما يلي تحليل واقع عملية التنشئة الاجتماعية من خلال التعريفات.

أ- تعريفات تحمل في مضامينها فكرة استدخال ثقافة المجتمع في ذات الفرد:

1 - تركز هذه التعريفات على عمليات النقل والتلقين والتقليد والاكتساب والتشكل والتعليم وتعتبرها ذات معان متقاربة رغم وجود الاختلافات في صياغة هذه المعاني والمصطلحات.

2 - تنظر هذه التعريفات إلى الفرد نظرة سلبية وتصفه بأنه وعاء حامل لنقل كل ما يتم استدخاله فيه دون أن يكون له رأي في ما يحمله.

3 - تعتمد هذه التعريفات في توجيهاتها وعلاقاتها بين الفرد والمجتمع على رؤية أحادية الجانب يخضع فيها الفرد لكل متطلبات المجتمع لأنه في هذه المرحلة قليل الخبرات والتجارب وقادر على الاستيعاب والتلقين دون تحليل وفهم للحقائق ما يعني استقرار التنشئة في ضمير الفرد لفترة طويلة من الزمن.

4 - ترى هذه التعريفات أن الطفل يمثل خامة جديدة غير مشكلة ويمكن تشكيله ووضعه في أي قالب يصوغه المجتمع ويتنبأ به في المستقبل المستعين "صوالحة وحوامده: ص16".

5 - ترى هذه التعريفات أن حياة الفرد مرهونة بمدى تقبله لواقع المجتمع، فهو لا يستطيع العيش داخل المجتمع إلا إذا تبنى معاييره وقيمه وثقافته وأن الخروج عنه يمثل خروجا معنوياً من ذلك الوسط المحدد.

6 - تنكر هذه التعريفات على الفرد قدراته واستعداداته التي تؤثر في الآخرين وتعتبره كائن غير ذي معنى يجب انقياده وخضوعه لرغبات المجتمع وتوجيهاته.

7 - تقلل هذه التعريفات من التدخل في القوى الفطرية والاستعدادات الذاتية للفرد لأنها معدة منذ الولادة للنمو والتقدم التدريجي الذي يكتسب أهميته من المجتمع نفسه، وأن

التدخل الإنساني فيها منذ وقت مبكر يحدّ من إمكانات الفرد ويفسد عليه نموه. لذلك يستوجب فتح المجال أمام هذه القدرات وتهيئة الظروف المناسبة التي يخلقها المجتمع في الفرد بحيث يتاح له حرية الانطلاق نحو استغلال هذه القدرات لصالح المجتمع "صوالحة وحوامده: 1944 ص14".

8 - تركز هذه التعريفات على المراحل الأولى لحياة الفرد أكثر من تركيزها على المراحل التالية لها، وتتناقص درجة اهتمامها بها في مراحل تقدم العمر.

9 - يعتبر المجتمع وحده مسؤولاً عن كل ما يحدث للفرد من تجاوزات أو أخطاء في علاقاته معه في مراحل التنشئة الأولى. ولذا فإنه يراجع نفسه ويراقب آليات التنشئة التي يعتمد عليها في نقل توجّهاته وأفكاره ويعمل على أحداث التغيرات التي تكفل له ضمان الاستمرار لوجوده في كل وسائط النقل المباشرة وغير المباشرة.

10 - تعبر وسائل الضبط والمراقبة والتوجيه أدوات مهمة لتشكيل الشخصية وبنائها على أسس من الطاعة والخضوع لإرادة المجتمع التي تبدأ من سن مبكرة في الأسرة والمدرسة ومختلف آليات التنشئة التي يتعرض لها الفرد في حياته.

ب- تعريفات تحمل في مضامينها فكرة تأثير الفرد في تغير ثقافة المجتمع:

1 - تركز هذه التعريفات على دور الفرد في إحداث التغير بدرجة تفوق اهتمامات المجتمع له باعتبار أن الفرد هو الأساس في تغيير ثقافة المجتمع وتقدمه عبر الاهتمام والتركيز على قدراته واستعداداته وإمكانياته الفطرية التي يتم دمجها مع ثقافة المجتمع، وينتج عنها ظهور شخصية مميزة وقادرة على إحداث التغير المطلوب وهو مايعني التركيز على النتائج وليس المقدمات.

2 - لا تشير معظم التعريفات التي تتناول فكرة تأثير الفرد في تغير ثقافة المجتمع إلى هذا المفهوم بشكل علني وصريح كما هو في تعريفات فكرة استدخال ثقافة المجتمع في ذات الفرد، ولكنها تشير ببعض التلميحات في سياق الفهم العام لمحتوياتها التي تجمع في معظمها تراكيب مختلفة في الصياغة تشتمل على عمليات نقل الثقافة وتلقينها

واكتسابها، ولعل مرد ذلك عدم التحرر من قيود التقليد المتبع في تعريفات التنشئة الاجتماعية وإهمال لأهمية الفرد في إحداث التأثير الذي قد يحدثه في مجتمعه.

3 - تعني التنشئة الاجتماعية في هذه التعريفات النظر إلى ثقافة المجتمع وقيمه بمنظور نقدي قابل للتطور والتجديد والمرونة بإبداعات الفرد وقدراته.

جـ- تعريفات تحمل في مضامينها فكرة تفاعل ثقافة المجتمع مع محددات شخصية الفرد:

1 - توازن معظم تعريفات التنشئة الاجتماعية التي تناولت فكرة تفاعل ثقافة المجتمع مع محددات شخصية الفرد التفاعل القائم الذي يحدث بين الفرد والمجتمع فهي لا تعطي أهمية كبيرة لأي منهما على حساب الآخر فلا الفرد يكون على حساب المجتمع ولا المجتمع يكون على حساب الفرد.

2 - تعتمد تعريفات التفاعل على جانبين أساسيين أحدهما يتصل بالمجتمع من حيث تفاعل المدخلات المتمثلة في "الفهم المعايير الاتجاهات"مع آليات التنشئة التي يحدثها الأفراد في الأسرة المدرسة الرفاق وغيرها في ذات الفرد التي تتمثل في قدراته واستعداداته في إطار التفاعل المتبادل الذي يوازن بين الفرد والمجتمع في علاقة متسقة ومتوازنة وذات اتجاهين متكافئين يعتمد كل منهما على الآخر في التأثير والتأثر. وبهذا فإن قيم المجتمع وثقافته وقدرات الفرد وإمكانياته هما أداتا التفاعل الحاصل بينهما. والنتيجة التي يرغبها المجتمع في أفراده ويتبناها الأفراد في مجتمعهم.

3 - ترى هذه التعريفات أن الشخصية الاجتماعية هي نتاج التفاعل الحاصل بين الفرد والمجتمع؛ ولذلك تسعى إلى تنميتها وتكوينها ومن ثم تعديل الظروف الملازمة لها في كل مراحل الحياة.

4 - ترى أن الدور الذي يسلكه الفرد في المجتمع دور متنوع بحسب السن والنوع والمركز والوظيفة وبذلك تعمل على تحريره وإعادة إنتاجه بما يتناسب وتلك الخصائص.

5 - تسعى هذه التعريفات إلى استقرار المجتمع وأفراده وتعتبر التفاعل الحاصل بين مكوناته ذو شأن مهم ولكنه لا يجب أن يتعدى شكل المجتمع أو التأثير على أفراده.

وأخيراً نصل من خلال كل ما تقدم إلى محاولة ربما تضفي المزيد على تكهنات هذا العلم في تعريفه للتنشئة الاجتماعية من خلال وضع تعريف أكثر دقة في توصيف مفهوم التنشئة الاجتماعية يأخذ في اعتباره كل مكونات وعناصر التنشئة الاجتماعية بأبعادها التقليدية وبعناصرها الجديدة التي تحمل مضامين النقل والتغير والتفاعل كمحددات مترابطة ومتصلة مع بعضها البعض تبرز مفهوم التنشئة الاجتماعية وتوضح معناه بما يلي:

"هي عملية تفاعل متنام ومتواصل مدى الحياة بين الفرد وعناصر المجتمع يتم فيها الاكتساب والتشكل المستمر للشخصية في كل المراحل العمرية ويتحول فيها الوليد البشري إلى شخص اجتماعي مميز بهويته وقادر على التوافق والتأثير في ثقافة المجتمع بالشكل الذي يتيح له تقدمه".

العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية:

أ- عوامل البيئة الطبيعية:

تعني عوامل البيئة كل ما يتصل بالفرد الإنساني ويؤثر في تنشئته سلباً أو إيجاباً وتشمل تلك العوامل كل الظروف التي تحيط بالفرد منذ تكوينه في البيئة الرحمية وما بعد خروجه منها وتشمل عوامل البيئة الطبيعية العوامل المناخية والجغرافية والصحية التي تؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية.

وتختلف درجة تأثير تلك العوامل بحسب التأثيرات التي تحدثها تلك الظروف وبمدى عمقها واستقرارها في الفرد الإنساني، وبدرجة تفاعله معها واستجابته لها وترتبط أيضاً بنوع الجنس وبقوة الأساليب التي يمارسها وكلاء التنشئة الاجتماعية في الفرد، وتزداد تلك العوامل كلما كانت بيئة التنشئة وظروفها مناسبة لها ومرغوبة فيها من قبل القائمين عليها والمتفاعلين معها، فوجود الفرد الإنساني في بيئة مناخية حارة أو باردة أو عيشه في بيئة جغرافية جبلية وعرة أو سهلة أو في محيط جغرافي مائي أو صحراوي كلها عوامل

لها تأثيراتها في تكوين حياته الاجتماعية ومن ثم لها تأثيراتها على توجيهات الفرد وسلوكه الاجتماعي بما تتضمنه من ضغوط وآثار نفسية وصحية تؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية.

ب- عوامل البيئة الثقافية والاجتماعية:

تمثل العوامل الثقافية أهم العوامل التي يتفاعل معها الفرد ويكتسب خلالها السلوك الاجتماعي المتمثل في كل قيم الثقافة الاجتماعية والمادية والحضارية التي تتفاعل مع بعضها البعض في إنتاج الشخصية الإنسانية التي يتميز بها الفرد عن غيره من الأفراد الآخرين. ولهذا تختلف عوامل التنشئة الاجتماعية من مجتمع لآخر بحسب الظروف والعوامل التي تحدد تميز الشخصية، كما أنها تختلف أيضاً في المجتمع الواحد إذا ما تعرض الفرد لظروف وعوامل مختلفة عن الآخرين.

ويكتسب الفرد ثقافة مجتمعه من خلال استدخال كل قيم السلوك الاجتماعي وضوابطه التي تبدأ من مراحل حياته المبكرة حينما تفرض عليه حاجاته البيولوجية والعضوية الخضوع لمطالب الآخرين وتلبية شروطهم عليه مقابل ضمان حاجاته وتوفير متطلباته، وبذلك تنشأ العلاقة الاجتماعية كاستجابة لحاجات الطفل ومطالبه التي يتم من خلالها شروط التنشئة الاجتماعية في ذات الطفل.

ومع استمرار تلك الشروط والضوابط يجد الطفل نفسه مرغماً على الامتثال لكل أساليب التنشئة الاجتماعية التي يتم استدخالها فيه عبر عمليات الثواب والعقاب التي قد يتعرض لها في المجتمع، لكن هذا لا يعني في كل الأحوال قبول الفرد وخضوعه لكل عمليات التنشئة الاجتماعية، فقد تفرض على الفرد في مرحلة ما نمط معين من السلوك الاجتماعي لكنه في مرحلة أخرى قد يرفض هذا السلوك أو قد لا يعيره اهتماماً، وقد يحدث الشيء ذاته في مراحل أخرى. وهكذا يختلف نمط الشخصية الإنسانية باختلاف نمط الثقافة التي يتعرض لها الفرد في المحيط الاجتماعي معها مما يتيح أحياناً وجود نمطين من السلوك في الفرد الواحد يكتسي أحدهما طبيعة خاصة مميزة له ويكتسي الآخر طبيعة عامة تتوافق مع واقع المجتمع وسلوكه العام.

جـ- عوامل وراثية:

التنشئة الاجتماعية هي محصلة عدد من العوامل المتفاعلة مع بعضها البعض وتختلف هذه العوامل في تأثيراتها على الفرد سواء في مراحل تكوينه أو في مراحل التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها وتسبق العوامل الوراثية كل عوامل البيئة الطبيعية وهي الأكثر تأثيراً في البيئة الرحمية إلاَّ أنها تتأثر أيضاً بالعوامل الطبيعية "الفيزيقية"التي يتعرض لها الجنين في رحم أمه. ويستمر تأثيرها أيضاً في ما بعد المرحلة الجنينية حيث تظهر آثارها في نمو أعضاء الجسم ووظائفه المختلفة خلال عمليات النضج التي يمر بها الفرد في تنشئته وما تسببه تلك العمليات من إفرازات غددية متنوعة لها تأثيراتها على سلوك الفرد الاجتماعي.

ولهذا فإن أزمات المراهقة التي يمر بها الفرد في حياته لا تحددها العوامل الاجتماعية فحسب، بل يجب عدم تجاهل تأثير العوامل الوراثية التي تؤثر في بنية أعضاء الجسم وتكوينه، فالتغيرات العضوية المصاحبة لمرحلة المراهقة والشيخوخة وما ينتج عنها من انفعالات مثيرة أو هادئة تطرأ على الفرد خلال مراحل حياته إنما هي بسبب التغيرات العضوية التي تسببها الإفرازات الغددية التي تؤثر على سلوك الفرد الاجتماعي، لذلك يمكن القول: إن التنشئة الاجتماعية هي حصيلة تفاعل مستمر تتحدد بواسطة تفاعل العوامل الوراثية والاجتماعية والطبيعية التي تؤثر في الفرد الإنساني وتحدد مستوى نشاطه وسلوكه الاجتماعي العام.

مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

أ- المؤسسات المباشرة:

- الأسرة:

تعد أسرة التنشئة التي تربى فيها الوليد البشري المكون الأساسي لتشكيل سلوك الطفل ونمو شخصيته الاجتماعية، فعن طريق الأسرة يتم وضع أسس الشخصية الإنسانية المرتقبة في الطفل حيث تتأثر هذه الشخصية بمكونات ثقافة الأسرة واتجاهاتها وأساليب التربية وعمليات الضبط والتحكم وغيرها من الأساليب ذات العلاقة بتنشئة الطفل في أسرته، وبذلك تتكون خبرات الطفل ومعارفه التي توجه سلوكه وتضبطه

وتكون هذه الخبرات بمثابة الأساس المرجعي الذي يقيس عليه سلوكه وتصرفاته في كل مراحل حياته تقريباً، وكلما تقدم الطفل في العمر تزداد هذه الخبرات تدريجياً ويتم تدعيمها باستمرار في نفس الطفل ضمن عملية التنشئة الاجتماعية الموجهة له من خلال وسائل التدعيم والإثابة المقصودة، وهكذا يزداد ترسيخ قيم الأسرة واتجاهاتها في نفس الطفل، وتصبح هذه الخبرات المكون الأساسي الذي يطبع الشخصية ويميزها عن غيرها وقد يصعب في كثير من الأحيان تغيير نمط الشخصية خاصة إذا استمرت عمليات التأثير الموجه ملازمة للطفل لسنوات عديدة وفي مراحل تالية لمرحلة الطفولة التي تتكون فيها بذور الشخصية. ولهذا يلاحظ أحياناً صعوبة التأثير في تغيير اتجاهات بعض الأفراد وآرائهم نحو اتخاذ مواقف سلوكية جديدة مغايرة لأسس التنشئة التي تربى عليها هؤلاء الأفراد. وإذا اعتبرنا أن بذور الشخصية الإنسانية أول ما تولد في الأسرة وتتأثر بمكوناتها النفسية والاجتماعية فإن قدرات الفرد ومواهبه قد تحد أحياناً من قوة تلك التأثيرات بحيث يجعل من غير السهل التأثير فيه لا سيما إذا تعرض الفرد لتأثيرات أخرى قد تكون مغايرة لتأثيرات الأسرة أو غير متطابقة معها، وهذا ما يجعل فكرة قبول نمط التنشئة الأسرية التي يتعرض لها الفرد في أسرته خاضعة لمزيد من التحليل والنقد، ولا شك أن هذا الاتجاه يعين الباحثين في علم النفس الاجتماعي على زيادة الفهم والتدقيق في محتويات التنشئة الاجتماعية الأسرية.

ب- المؤسسات غير المباشرة:

المؤسسات التعليمية وهي تشمل:

1- رياض الأطفال:

بتقدم نمو الطفل ووصوله إلى سن ما قبل المدرسة، تزداد معارفه وتتسع خبراته، ويصبح أكثر إدراكاً لفهم البيئة الاجتماعية والمحيطين به مما يتطلب إعداده لنمط جديد من التنشئة الاجتماعية، تتفق مع معايير ونظم المؤسسة الاجتماعية التي ينظم إليها حيث يقضي وقتاً طويلاً في تعلم المهارات والخبرات مع من هم في نفس سنه، وتبرز لديه الميول والرغبات التي يمارسها مع أقرانه، ويتعلم كل أنواع النشاط المختلف الذي تضعه خطط

المؤسسة وتحرص عليه، ومن ثم يجد الطفل نفسه في محيط مختلف عما عهده في السابق وتعود عليه في أسرته، فعلاقاته وتفاعلاته مع أقاربه ومعلميه تختلف عن علاقاته وتفاعلاته مع أفراد أسرته، ونظام المؤسسة وقواعد الضبط والثواب والعقاب محكوم بترتيبات معينة يخضع لها كل الأطفال دون استثناء، فالطفل في أسرته كان لا يتقيد بنظام محدد أو شروط معينة تلزمه القيام بها، كما أن علاقته مع أخوته ووالديه تختلف عما يلاحظه من علاقات مع أطفال المؤسسة ومعلميها، فهو لم يجد من يؤازره أو يحميه طول الوقت إذا ما تعرض لأي أذى أو واجهته مشكلة بعينها مع بعض الأطفال في المؤسسة بمثل ما يجده مع أخوته أو آبائه في الأسرة، فالأم تفزع إذا ما تعرض ابنها لأي خطر، والأب يسرع لحمايته ومناصرته، والأخوة يفعلون الشيء ذاته، ويجد الطفل نفسه محاطاً بعلاقات قوية توفر له كل ما يمكن عمله، ويحقق له أمنه دون أن يخضع لقواعد أو نظم محددة تفرض عليه شروطها كما هو حال كل الأطفال في المؤسسة.

بهذه الكيفية التي يلاحظها الطفل ويعيشها كل يوم مع أقرانه في المؤسسة يتعلم أدوراً جديدة، ويخضع لمعايير ونظم ثابتة، ويكتسب أنواعاً من السلوك الاجتماعي المتعلم الذي لم يألفه من قبل في أسرته وبذلك تتحول شخصيته إلى شخص اجتماعي، يعرف كيف يمارس السلوك وكيف يضبطه وكيف ينمي علاقته مع غيره، ومن ثم يتوصل إلى معرفة حقوقه وواجباته ومسئولياته تجاه نفسه واتجاه غيره، وبذلك يتم إعادة بناء بذور الشخصية الأسرية التي غرستها الأسرة فيه على أسس من التوافق والاحترام مع الغير بحسب السن التي يعيشها ويتطلع لها.

هكذا يتم إعادة بناء الشخصية الإنسانية منذ مراحل الطفولة الأولى وتتفتح ملامح أخطاء التنشئة الأسرية التي قد تقع فيها بعض الأسر بحيث يسهل على الطفل في محيط الاجتماعي التوافق والانسجام، ويكون مستعداً لقبول نمط آخر جديد من أنماط التنشئة الاجتماعية التي يسعى إليها المجتمع ويتصورها في أبنائه. فالتنشئة المرتقبة لا تقف عند هذا الحد بل يتم إعادتها وتشكيلها باستمرار في كل مؤسسات المجتمع ونظمه المختلفة وما هذه المؤسسة "رياض الأطفال" إلا إحدى هذه الوسائط التي تقع بين تنشئتين أساسيتين أولاهما المجتمع بأهمية كبيرة هما مؤسسة الأسرة ومؤسسة المدرسة.

2- المدرسة:

تعد المدرسة إحدى المؤسسات الاجتماعية التي لا غنى عنها في حياة الطفل، ولا مفر من الولوج فيها لإعادة تشكيل حياته من جديد، فهي نظام إلزامي قد فرضه المجتمع على كل أبنائه الذكور والإناث متى يصل كل منهما إلى سن السادسة من العمر وقد استهدف وجودهما بالأساس الأول نمو الطفل وإعداده لحياته الحاضرة والمستقبلة، وإمداده بالمعارف والخبرات، وصقل مواهبه، وتنمية ميوله ورغباته، وإكسابه السلوك الاجتماعي الذي يحقق له التوافق ويعيد له تشكيل شخصيته على أسس من التوقعات التي يرغبها ويعمل على تحقيقها.

والمدرسة وفقا لتوجيهات المجتمع وأهدافه، هي البيئة الملائمة التي أوجدها بعد الأسرة وأوكل إليها مهمة تنشئة الأبناء تنشئة شاملة، تمتد من مرحلة الطفولة وحتى نهاية مرحلة التعليم الثانوي أو المتوسط الذي يقابل مرحلة المراهقة بكل ظروفها ومتطلباتها المختلفة؛ ولذلك فهي تختلف في أهدافها وشروطها عن مؤسسات رياض الأطفال، وإن كانت تمهد لها وتهيئ لها سبل الدخول فيها.

ويأتي اهتمام المجتمع بالمدرسة باعتبارها الأداة الوحيدة القادرة على نقل ثقافة المجتمع إلى الأبناء، فعن طريق المدرسة يتم نقل قيم المجتمع وثقافته والمحافظة على الأدوار والمراكز الاجتماعية التي يحددها المجتمع لأبنائه. كما تُعد المدرسة من أهم وسائل التنشئة الاجتماعية في تعديل القيم المرغوبة، وتقديم النماذج السلوكية التي يرغبها المجتمع في أبنائه، فهي تمنح الفرص المناسبة لتوحد سلوك الأبناء، وتعديل الاختلافات الناشئة في التنشئة الأسرية، والتقليل من حدة الفوارق الناجمة عن عمليات التنشئة الأسرية التي قد يتعرض لها الأبناء في أسر التنشئة، بحيث يسهل على المجتمع صياغة أسس الشخصية المناسبة التي يرغب في الوصول إليها ويعمل على تحقيقها.

من أجل هذا كانت المدرسة إحدى المؤسسات المهمة للتنشئة الاجتماعية التي تولاها المجتمع، وأشرف على خططها وبرامجها، وأعد لها الإمكانات المادية والبشرية، واستمر في متابعتها والإنفاق عليها حتى مرحلة التعليم الجامعي، كي يطمئن للنتائج المرتقبة ويحقق هدف التنشئة المرجوة.

وإذا كانت المدرسة معنية بتحقيق أهداف المجتمع وطموحاته في تنشئة أبنائه بما توفره من وسائل وغايات وما تقدمه من قدرات وإمكانات فإنها أيضاً قادرة على التأثير في الأبناء من خلال برامج النشاط المختلف الذي يمارسه الرفاق سواء في بيئة المدرسة أو خارجها، فالرفاق هم عادة ما يكونوا في سن متقاربة تجمع بينهم أهداف واحدة ومصالح مشتركة، ويمارسون نشاطاً اجتماعياً أو رياضياً أو غيره، يلتقون عليه ويتجمعون حوله، سواء بشكل مقصود أو غير مقصود، وما المدرسة إلا أحد هذه الوسائل التي يتجمع فيها الرفاق ويلتقون على ممارسة الأنشطة التي تشبع ميولهم وتحقق مطالبهم فإلى جانب وظيفتها الأساسية في التنشئة، فإنها تقوم أيضاً بالتأثير في تغيير السلوك وتعديله ضمن خطط النشاط المقترح الذي يمارسه الرفاق داخلها، وقد يمتد أحياناً إلى خارج أسوارها، وقد يشمل في أحيان أخرى جماعات مختلفة تضيق وتتسع بحسب الأهداف والغايات، كلها ذات تأثير مباشر في إعادة تشكيل جوانب الشخصية المختلفة التي تؤثر في نمط التنشئة الاجتماعية في حياة الابن ومستقبله.

جـ- المؤسسات الدينية:

تتكاثف جهود التنشئة الاجتماعية بصورها المتعددة وأساليبها المختلفة لتلقي بظلالها على حياة الفرد وتعمل على تحصينه والمحافظة عليه، وذلك بتوكيدها للقيم الخلقية والروحية والإنسانية التي تقوم بها عبر أدواتها المتعددة التي تشمل دور العبادة المختلفة كالمساجد والزوايا وغيرها، لتقديمها للنشء في صور وأساليب متعددة بطرق مباشرة أو غير مباشرة ضمن حضور الطفل إلى تلك المؤسسات وتلقي دروس الوعظ والإرشاد في سن مبكرة لتهيئة حياة الطفل وفتح آفاق جديدة أمامه، تشبع فيه الجوانب النفسية والروحية التي لا غنى عنها في حياة الطفل، وتمده بالقيم الدينية التي تنمي فيه الإحساس بمعرفة الحق والباطل، وتغرس فيه روح التسامح والمحبة، ورفض التعصب والعدوان والعنف.

لقد أصبحت حياة الفرد في الوقت الراهن بحاجة ماسة إلى تلك المؤسسات التي تدعو إلى الخير، وتنبذ العدوان والتطرف، من أجل جيل قادر على التسامح والتعايش مع الغير في ظل قيم العدل والمساواة التي ينادي بها الدين الإسلامي ويمجدها القرآن الكريم،

وتجد لها مبادئ وأسس في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وحتى مع أعدائه في الأمم والشعوب الأخرى لكي تكون التنشئة الاجتماعية التي نحرص على ترسيخها في نفوس أبنائنا متوازنة مع قيم الحياة المادية والروحية.

ولهذا فإن دور المؤسسات الدينية يمتد ليشمل كل مراحل حياة الفرد الإنساني منذ طفولته وحتى صباه وشيخوخته بامتداد مراحل التنشئة نفسها التي لا تتوقف عند سن معينة أو مرحلة محددة، ولذلك فإن دور تلك المؤسسات لا يتوقف على المشاركة المباشرة للطفل في حضوره لحفظ القرآن الكريم وشرح نصوصه والاستماع إلى الوعظ والإرشاد فقط، بل تمتد جهود تلك المؤسسات إلى كل مراحل التعليم المختلف لتؤازر بقية المواد المقررة لهم، وتتناسب مع مستويات الفهم والتفكير في شكل أحكام وعبادات ومعاملات، تتفق وهدف التنشئة الاجتماعية التي يحرص عليها المجتمع وينشدها في أبنائه، وتكون بمثابة محطات مفيدة توجه أهداف التنشئة وتدعمها باستمرار؛ ذلك لأن الضبط الذاتي الذي يتشبع بالقيم الروحية وتعاليم الدين سيجعل من الفرد رقيباً على نفسه طول حياته بدون أن يحتاج لضبط خارجي يحكم سلوكه أو يقيد تصرفاته مع نفسه أو مع غيره من أفراد مجتمعه. فنظم المجتمع وقوانينه المتعلقة بضبط السلوك وتقويمه، قد لا تجدي نفعاً إذا لم يتم تعزيز القوى الداخلية وتقوية الأنا الأعلى في ضبط السلوك ومراقبة الفرد لذاته؛ لأن الإفلات من القوانين الاجتماعية قد يكون مرهوناً بتفسيرات مختلفة، تعطي الحق للفرد في عدم الامتعاض لها، أو الوقوع تحت طائلتها لأسباب كثيرة؛ لذلك فإن تربية الواعظ الديني وتنشئته منذ الصغر في نفس الطفل هو هدف التنشئة الاجتماعية التي تحرص عليها تلك المؤسسات وتستجيب لها في برامجها وخططها الدينية.

د- وسائل الإعلام:

تلعب وسائل الإعلام دوراً بارزاً في تكوين شخصية الفرد وفي تطبيعه الاجتماعي، فهي تقوم بإكساب الفرد المعلومات والمعارف والحقائق والأخبار والوقائع التي تنشرها أو تبثها عبر وسائل الاتصال المباشر التي يتلقاها الفرد بطرق مختلفة سمعية أو بصرية أو

مقروءة، مما يجعلها تسهم في تكوين رأي عام واتجاهات محددة. وقد زاد من سهولة تأثير هذه الوسائل المختلفة متطلبات المرحلة التي يعيشها الأفراد وتحتاجها المجتمعات في التغير والتطور بكافة مظاهره وجوانبه المادية وغير المادية، وأضحت هذه الوسائل مناسبة لاستخدامها لكل من الكبار والصغار على حد سواء متوافرة وبأسعار زهيدة لا تجد بيتاً أو مؤسسة تخلو منها أو من تأثيراتها المصاحبة لها، فهي أداة فعالة في توجيه السلوك ونقل القيم والمعايير الإنسانية، إلى جانب قدرتها في تنشيط المهارات وتقوية الابتكارات، والاقتداء بالنماذج السلوكية الفعالة، فكلما أحسن استخدامها كان لها تأثيرات واضحة على جوانب السلوك المختلف.

لا يشك أحد في أن الوسائل الإعلامية بمجملها صارت هدفاً مؤثراً في كل أنشطة الإنسان وعلاقاته مع الآخرين، فإلى جانب كونها أداة للتغيير والتطوير إلا أنها أحياناً إذا ما أُسيء استخدامها فإنها تكون أداة للانحراف والتخلف ويبقى الإنسان وحده هو القادر على توجيه هذه الوسائل واستخدامها الاستخدام الأمثل. فمحاكاة السلوك والقيم تتأثر بدوافع واهتمامات واتجاهات الفرد الخاضع لتأثير هذا السلوك؛ لذا يستوجب من الآباء تحصينَ أبنائهم ومراقبة سلوكهم ومتابعة تصرفاتهم من الأخطاء التي قد ينزلق فيها الأبناء ولو كان ذلك بحسن نية حتى يمكن تفادي الأخطاء، وتقويم السلوك، وتكوين الاتجاهات المرغوب فيها التي تساعد على تنمية التفكير والإبداع، الذي يخلق الشخصية السوية، ويحقق النجاح المطلوب في الحياة.

الفصل الرابع

الشائعات

عُرف الإنسان منذ القدم ما تردد على مسامعه من أقوال وما تناقلته أخبار الناس من حكايات وقصص بعضها كان صادقاً وبعضها الآخر يشوبه الشك والريبة، وبين هذا وذاك تقع الشائعة، فهي خبر يحمل في مضمونه معنى ويتباين الناس في نقله، فقد يحتمل الصدق أو بعضا منه، وقد يتناقض مع الصدق فيكون كاذباً؛ ولهذا فإن للشائعة معنى وهدف، فالمعنى يتجلى في نقل فكرة أو موضوع محدد يهمس في أُذن متلقي في حاجة لمعرفة شيء غامض يريد التحقق منه كي يخفف من حدة التوتر والقلق الذي يصاحبه، والهدف هو تشويه مسامع وأفكار المتلقي وإرباكه نحو موضوع تنقصه الحقائق والبراهين الدالة عليه، وتتضمن الشائعة موضوعاً يستهدف فرداً أو مجتمعاً، وقد يشمل نظاماً سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو موضوعاً دينياً أو غيره بهدف الإساءة إليه والتشكيك به أو الحط من قيمته، وقد تتخذ صورة أخرى مخالفة له تتمثل في رفع مكانته، وعلو شأنه والنهوض بقيمته عبر تصورات تنسب لأفعال فرد أو جماعة معينة.

وفي كل الأحوال فإن الشائعة سلوك اجتماعي مارسه كل الناس منذ القدم ولا يزال مستمراً في الحاضر والمستقبل، لا يخلو مجتمع إنساني منه، ويأتي هذا السلوك تعبيراً عن حالة انفعالية يعيشها الفرد أو المجتمع، ويتطلع إلى كشف الحقيقة وإزالة الغموض الذي يكتنف هذا السلوك.

ومهما تكن الشائعة إيجابية أو سلبية طويلة المدى أو قصيرة، عنيفة التأثير أو حيادية فإنها تنتقل عبر النسيج الاجتماعي الذي يشكل لغة التخاطب بين الناس، ففي الماضي كانت الكلمة الشائعة هي التي تصنع الشهرة والمكانة الاجتماعية لبعض الناس، وقد تكون في أحيان أخرى مدمرة تحط من قدر بعض الناس وتؤدي إلى إشاعة الغضب والعدوان والتدمير والحروب. وحتى بعد تقدم وسائل التخاطب الحديثة لا تزال الشائعة مصدرا مهما للتأثير في أسماع الناس وأفكارهم لارتباطها بالحرب النفسية والعدوان بهدف السيطرة والتحكم في الآخرين "عبد الله، عبد اللطيف: 2001، 587".

التعريف العلمي للشائعة:

عُرفت الشائعة بأنها"معلومة أو خبر أو قصة قابلة للتصديق أو التكذيب وغير معروفة أو مؤكدة المصدر يتم تناقلها مشافهة بطريقة غير رسمية في حالة الاتصال الشخصي وجهاً لوجه أو رسمياً كما هو الحال في الاتصال الجماهيري السمعي كالإذاعة أو البصري كالمطبوعات أو السمعي البصري كالتلفزيون "أبو عرقوب: 1994، 7".

أما "ريبر REBER" فقد عرفها بأنها "تقرير غامض أو غير دقيق أو قضية أو وصف يتم تناقله من أفراد المجتمع عن طريق الكلمة المنطوقة غالباً، وتمثل الشائعات إلى الانتشار في أوقات الأزمات في المجتمع، وتدور دائماً حول أشخاص أو أحداث مما يمثل أهمية لأفراد المجتمع في ظل توافر معلومات غامضة من هؤلاء الأشخاص أو الأحداث""عبد الله، عبداللطيف: 2001، 591".

وجاء تعريفها على يد "دريفر" بأنها "قصة غير متحقق من صدقها تنتشر في المجتمع ويزعم فيها حدوث واقعة معينة" "عبد الله: 1997، 156".

وقد عرفها "محمد أبو زيد" بأنها "تلك المعلومات أو الأفكار التي يتناقلها الناس دون أن تكون مستندة إلى مصدر موثوق به يشهد بصحتها، أو هي ترويج يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة وتنتقل هذه الشائعة عن طريق اللفظ، وقد تنتقل من خلال النكتة أو الحركة التعبيرية، وهي تهدف إلى التأثير في تفكير الإنسان وعلى انفعاله وخياله بصورة تجعله يضيف إلى الشائعة كلاماً آخر وفي نفس الوقت تزداد انتشاراً وجاذبية""عبد الله، عبداللطيف: 2001، 592".

وعرفها "ألبورت و بوستمان" بأنها "كل قضية أو عبارة نوعية قابلة للتصديق وتتناقل عادة من شخص لآخر بالكلمة المنطوقة وذلك دون أن تكون هناك معايير مؤكدة للصدق""معتز"2001، 165".

وقد عرفها "علي قنون" بأنها "كل خبر كاذب يحتمل الصدق مجهول المصدر ويصدر كسلوك أو فعل قولي مرضي عن إنسان مريض غير سوي يتحرك بالكلمة المنطوقة بين كل

الأفراد وينتقل بأقصى سرعة ممكنة حتى يصل إلى جميع الأوساط الشعبية المختلفة ولا يحمل معه أي دليل على مصداقيته أو صحته ويفتقر إلى أي مستند لذلك وتتغير بعض تفاصيله وتزداد من شخص لآخر" "فنون: بدون تاريخ".

أما مختار التهامي فقد عرفها بأنها"الترويج لخبر مختلق لا أساس له في الواقع أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو العالمي أو النوعي تحقيقاً لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة واحدة أو عدة دول أو النطاق العالمي بأجمعه" "الرضا، عمار: 1998".

يتضح من التعريفات السابقة أن الشائعة تحمل المعاني الآتية:

1 - أنها سلوك اجتماعي يمارس بطرق مختلفة فردية أو جماعية تستهدف التأثير في عقول الناس والتشكيك في أفكارهم.

2 - تحمل خبراً في شكل عناوين مختلفة قد تكون نكتة أو قصة أو تقريرا أو غيره.

3 - يتم نقل تلك العناوين بين الناس بوسائل نقل مختلفة قد تكون مباشرة وجهًا لوجه وقد تكون غير مباشرة بأدوات اتصال أخرى مقروءة أو مسموعة أو مرئية.

4 - قد تحتمل تلك العناوين الصدق أو جزءا منه وقد تكون كاذبة، وعادة ما تصدر عن مصادر مجهولة الهوية يراد بها التشكيك في شيء محدد.

5 - تنتشر بسرعة فائقة في حالة الأزمات والكوارث والحروب وتجد بيئة صالحة لها في تلك الظروف لاعتمادها على التأثير الانفعالي المصاحب لحالات التأزم النفسي مما يسهم في تضخمها وازدياد تفاصيلها.

6 - تعيش لفترات قد تكون طويلة وقد تكون قصيرة بحسب حالات القلق والتوتر التي يعانيها الأفراد في المجتمع.

7 - لها أهداف محددة إما بقصد إرباك سلوك الناس تجاه شيء محدد أو بقصد جس نبض الشارع نحو موضوع محدد يتعين القيام به قبل تنفيذه لمعرفة توجيهات الرأي العام نحوه.

8 – عادة ما تستهدف الشائعة أفراداً أو جماعات محددة يكونوا ضحايا لها ويدفعون ثمن تصرفاتهم نحوها.

9 – يختلف قبول الناس ورفضهم لها بحسب خبراتهم ومستوياتهم الثقافية وفئاتهم الاجتماعية.

10 – ينتهي نشاطها بانتهاء الوصول إلى الحقيقة وإزالة الغموض والالتباس حولها.

أهداف نشر الشائعات:

لكل سلوك هدف يسعى إلى تحقيقه والشائعات لا تستثنى من تلك الأهداف التي تعمل على تحقيقها؛ ولذلك فهي تسعى إلى تحقيق عدد من الأهداف المقصودة بحسب الموضوع الذي يتم اختياره لها، ومن بين هذه الأهداف ما يلي:

أ– الأهداف الإيجابية الموجهة للعدو:

1 – تعمل الشائعات على تحطيم إرادة العدو والتأثير على الروح المعنوية لأفراده خاصة في زمن الحرب.

2 – تخلق الشائعات جواً من الارتباك والبلبلة وزعزعة الثقة بالنفس، وبث الروح الانهزامية بين صفوف العدو.

3 – تستغل الشائعات في نشر بعض الوثائق وإظهار صور بعض المجندين المستسلمين وعرض عينات من المرتزقة الذين يستعين بهم العدو في معاركه.

4 – تعمل على زرع الفتنة وتغرس بذور الانقسام، وتهيئ الخصم إلى الاستسلام، ومن ثم القضاء عليه و تشتيت جهوده.

5 – تستغل الشائعات في تحطيم إرادة العدو بقتل وتأسير بعض القيادات المهمة التي تقود المعارك، وتسليم أسلحة بعض الفرق والكتائب عبر الاستيلاء عليها وهزيمتها.

6 - تعمل على إضعاف اقتصاد العدو بمحاربة السلع التي ينتجها وتشويه جودتها وقيمتها بهدف النيل من سمعتها وعدم قدرتها على المنافسة وتحقيق الربح.

7 - تستخدم الشائعات في إفلاس الأنظمة المالية وإسقاطها وعدم التعامل معها، ببث الكراهية وسحب الأرصدة المالية من الحسابات التابعة لها ضمن مخططات تستهدف تزوير الصكوك والوثائق واختلاس النقود والسطو على المصارف.

8 - تستخدم الشائعات الدعاية المغرضة كوسيلة من وسائل تشويه الأنظمة الاقتصادية للدول التي لا تتفق مع أهدافها وتوجهاتها.

9 - تعمل الشائعات على قلب الأنظمة السياسية وتغييرها عبر كشف الأسرار وإظهارها لفئات الضغط السياسي في الدول التي تنتهج سياسة مخالفة أو تدعم قوى أجنبية أخرى.

10 - تستغل الشائعات في تأكيد أخبار انتصار العدو في بعض المعارك التي يحرز فيها نصراً على خصمه ثم يحط من قيمة تلك الأخبار الدعائية بإبراز ساحة المعركة وخلو العدو منها لتكذيب أي خبر جديد قد يستخدمه العدو مستقبلاً.

11 - تستغل الشائعات لمعرفة خسائر العدو في المعارك، إذ يروج لإشاعة عدد كبير من القتلى في صفوف العدو أو بقتل بعض القادة المهمين في المعارك مما يجعل العدو يرد على خصمه بأعداد أقل أو يعمل على إظهار الشخصيات المهمة التي لم تلق حتفها في المعارك وبذلك يستفاد من معرفة عدد القتلى أو ظروف غياب الشخصيات المهمة في القتال.

12 - تستغل الشائعات في إفساد مخططات العدو والتجهيز عليه من خلال نشر بعض الصور المؤثرة على معنويات جنوده كتفجير مستودعات الأسلحة والذخيرة والمؤن التي يحتاج إليها في الحرب، وتحطيم مقار القيادة والسيطرة وأجهزة الاتصالات التي يعتمد عليها في نقل المعلومات وتوجيه خطط الحرب.

13 - تعيد الشائعات الثقة والحماس في قيادات المعارك ورص الصفوف الداخلية لمزيد من الانتصارات وقلب الهزيمة إلى نصر.

14 - تستغل الشائعات في تغيير اتجاهات الرأي العام من خلال فضح وإسقاط أدوات الحكم التي تتبنى اتجاهات مغايرة لشعوبها تستهدف زيادة الضرائب وتحميل نفقات أعباء الحرب على مواطنيها.

15 - تستغل الشائعات في إيقاف الحرب بجعل الشعب ضحية ظلم العدو لتأجيج مشاعر القوى المحبة للسلام بالتدخل السريع والضغط على حكومات العدو لإيقاف نزيف الدم.

ب- الأهداف الإيجابية والسلبية الموجهة للمجتمع:

أولاً- الأهداف الإيجابية:

1 - تعمل الشائعات على تقوية الروح المعنوية بالإصرار على الاستمرار في القتال وعدم الاستسلام للعدو وإحباط مخططات الهزيمة التي ينشرها.

2 - تعيد الشائعات الثقة والحماس في قيادات المعارك ورص الصفوف الداخلية لمزيد من الانتصارات وقلب الهزيمة إلى نصر.

3 - تستغل الشائعات في تقوية الجبهة الداخلية من خلال حشد الجماهير المؤيدة واستعراض البرقيات والمواثيق والعهود التي تؤكد على الاستمرار في المعارك والالتحام بالقيادة حتى تحقيق النصر.

4 - تستغل الشائعات في جس نبض الرأي العام حول موضوعات معينة تعتزم الدولة القيام بها من خلال معرفة اتجاهات الناس حولها قبل الشروع في تنفيذها كي تؤمن خططها وتعرف رد فعل الناس حيالها.

5 - تستغل الشائعات في إصلاح وتقويم النظام الاجتماعي ومحاربة الفقر والبطالة والجهل وارتفاع الأسعار والتركيز على المطالب الفردية لأفراد المجتمع.

ثانياً- الأهداف السلبية:

قد تشكل الشائعات أهدافاً ضارة للمجتمع لا سيما في زمن الحرب إذا أُسيء استخدامها ولم تدرس بعناية ودقة، وقد تستغل من طرف العدو إذا تم المبالغة فيها ولم تحسب مؤشراتها بدقة أو إذا وقعت في أيدي أفراد قد يستخدمونها بطريقة خاطئة أو بتوقيت مختلف عما خططت له، وقد يكون أحياناً بحسن نية، فهي سلاح ذو حدين؛ لذلك يتعين على مستخدميها تحديد الوسيلة ومعرفة الوقت والزمن المناسبين لنشرها، **ومن بين أهدافها السلبية هي:**

1 - قد تستغل الشائعات في تعرية النظام السياسي من خلال التركيز على النظام الاقتصادي وإظهار حالات البؤس والفقر التي يعانيها السكان، ونشر أحزمة الفقر المحيطة بالمدن، وتذمر سكان الريف، واستغلال ثروة البلاد في السلطة والنفوذ.

2 - قد تستخدم الشائعات في إضعاف وحدة الصف داخل الوطن الواحد إذا شوهت صورة وسمعة بعض أفراده خاصة المرموقين من أبنائه مما يدعو إلى الانقسام ويخلق شائعات مضادة.

3 - قد تستغل الشائعات في مناصرة فئة على أخرى لا سيما في المجتمعات ذات الأديان والأعراف والطوائف المختلفة مما يزرع الفتنة في النفوس ويحرك هواجس الخوف والرعب والكراهية بين أفراد المجتمع.

4 - قد تستغل الشائعات في التشهير بالنظام السياسي من خلال بث الشائعات والتشكيك فيه وفي خطط الإصلاح والتنمية التي تعتمد على أسلوب التضخيم والتهويل الذي يعتمده ويتغلف به دون مطابقته للواقع.

5 - قد تكون الشائعات أداة لترويج التخريب والإرهاب والتعصب القبلي بين أبناء المجتمع مما يسهم في إذكاء روح الفتنة ويدمر خطط البلاد ومشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

6 – تستغل الشائعات الدين لتلعب على أوتاره وتضرب النظام الاجتماعي والأخلاقي برمته من خلال التشكيك في النظام الأخلاقي والتعرض يقيم الأمة وعدم احترام تقاليدها وأعرافها.

خصائص الشائعات:

تختص الشائعة بعدد من الخصائص وهي:

1– الغموض:

وهو يعني قلة المعلومات الصادرة من الجهة المسئولة عن الشائعة، فكلما كانت المعلومات عن الشائعة غائبة أو قليلة تأكد انتشارها وأزداد توسعها بين الأفراد بسبب الغموض وعدم الوضوح؛ ولهذا فإن عدم وضوح الشائعة يترافق مع استمرار وجودها في المجتمع ويمنحها وقتاً أطول للعيش فيه.

2– التوتر والقلق:

كلما استمر غموض المصدر وغابت الحقيقة عن عيون الناس كان التوتر مرتفعاً خاصة إذا كان يؤثر تأثيراً مباشراً في حاجات الأفراد ومصالحهم، ولا شك فإن هذا التوتر سيخلق حالة من القلق في نفوس الأفراد ويدفع بهم إلى المزيد من ذيوعها وانتشارها للتأكد من صحتها وصدقها عبر كل الوسائل المتاحة.

3– الأهمية:

تزداد أهمية الشائعة بازدياد درجة أهميتها وتأثيرها في نفوس وعقول الناس، فالشائعات التي تمس حياة الناس مباشرة يكون وقعها أكبر وتأثيرها أعمق، بينما الشائعات التي لا تمس إلا فئة محددة أو نظاماً معيناً يكون تأثيرها محدوداً لا يتجاوز أفراد تلك الفئة أو النظام.

4– الانتشار والتمدد:

يرتبط انتشار الشائعات ويزداد عمقها بين فئات المجتمع بزيادة أهميتها وتأثيرها البالغ على الأفراد في المجتمع، فكلما ازدادت أهمية الشائعة وخطورتها أصبح الحديث عنها منتشراً بين أوساط متعددة من الناس.



5- الرغبة والرهبة:

عادة ما تُثير الشائعة نمطين من السلوك المختلف لدى الناس إما سلوك الرغبة لانتظار النتائج التي تحققها الشائعة وإما سلوك الرهبة والخوف من النتائج التي تسفر عنها الشائعة وفي كلا الحالتين فإن مصدر منشىء الشائعة هو الذي يحدد مسبقاً نوع السلوك الذي يتوقعه من أفراد المجتمع.

6- الموضوع:

لا تنطلق الشائعة من فراغ، بل إنها تحمل موضوعاً محدداً يتناقله الناس في صورة خبر أو فكرة أو قصة أو نكتة أو غيره تطرق في آذان وعيون السامعين أو كليهما يراد بها غرض محدد له علاقة بأفراد محددين ويسفر عنه إما سلوك استفزازي يحمل الفزع والخوف وإما سلوك يثير الفرح والرغبة وقد لا يحمل أي نوع منهما إذا كان موضوع الشائعة لا يتعلق بكل الناس ويخص فئة محددة في المجتمع، وفي هذه الحالة فإن أهمية الشائعة تكون مقتصرة على الفئة التي تستهدفها فقط.

7- التحريف والتعديل:

عادة ما يتعرض محتوى مضمون الشائعة إلى تحريفات وتغييرات عديدة قد تكون في أحيان جوهرية وقد تكون في أحيان أخرى طفيفة بفعل التأثيرات التي تلقيها في نفوس وعقول الأفراد، الأمر الذي يجعل سلوك بعض الأفراد متمايزاً عن بعضه يؤثر في مسار الشائعة، وقد يحمل تناقضات كثيرة من عناصر الصدق والكذب. وفي كل الأحوال فإن هذه الخصائص متداخلة ومتشابكة بعضها مع البعض تؤثر جميعها وبدرجات مختلفة في خصائص الشائعة وسماتها.

مراحل انتشار الشائعات:

تنتشر الشائعات عبر أربع مراحل هي:

أ- المرحلة الأولى: مرحلة التخطيط للشائعة:

وفي هذه المرحلة يتم التفكير في وضع الخطة المناسبة للشائعة من حيث الموضوع الذي تحمله والفكرة التي تنادي بها، والنتائج المتوقع الوصول إليها، كما تشتمل على الطريقة التي تعرض بها والوسيلة المستخدمة لنقلها، ومراعاة الوقت المناسب لها والجو الملائم لتنفيذها، ومعرفة التربة الخصبة التي تنمو فيها وتترعرع، وهذا يتعين على مروج الشائعة أن يكون على دراية تامة بمعرفة الحالة النفسية لجماهير الشائعة من حيث تهيؤ الأفراد لقبولها ورد الفعل نحوها، علاوة على معرفة الفئة أو الفئات التي تستدرجهم وتنطبق عليهم شروط الشائعة، فقد تكون فئة الرجال أو النساء أو بعض الشباب أو تختص بنظام أو دين معين، وفي كل الأحوال لابد من مراعاة درجة التصديق والإيحاء الذي يصدقه الأفراد دون البحث عن دليل منطقي أو عقلي، إضافة إلى تجانس الفئة المستهدفة وعدم وجود حواجز تفصل بينهم حتى تنتشر الشائعة بأقصى سرعة ممكنة، مع مراعاة وجود عدد من الأفراد داخل جماهير الشائعة يقومون بشرح وتوضيح بعض أبعاد الشائعة الغامضة إذا استعصى على الجماهير فهمها وصعوبة استيعابها، حتى تسير في الهدف الذي ترمي إليه ولا تجنح نحو التحريف أو التغيير.

ب- المرحلة الثانية: مرحلة التنفيذ وتشمل الآتي:

1- مرحلة ولادة الشائعة:

بعد توافر شروط المرحلة الأولى يبدأ مروجو الشائعات في التنفيذ العملي لها وذلك بإطلاق العنان لها عبر استخدام كلمات محدودة عادة ما تبدأ مع الأقارب والأصدقاء بالاستفسار عن شيء غامض يتناقله الناس ويجهلون مصدره، بهدف البحث عن مدى صدقه أو كذبه، وفي كل الأحوال فهي تولد من رحم الجماهير وتنمو خارجه بجس حس الناس حول موضوع معين تظهر في شكل همهمات حذرة يصاحبها حالة من التوتر النفسي والقلق الانفعالي الذي يجعلها مهيأة لخروجها من معاقلها والتصريح بها.

2- مرحلة انتشار الشائعة:

وفي هذه المرحلة يبدأ مروجو الشائعات في انتشارها بوسائل مختلفة مباشرة وغير مباشرة، حيث تعم الشائعة معظم أفراد المجتمع أو بعض فئاته بحسب الهدف الذي

ترمي إليه، وقد ينتهي دور مروجي الشائعة عند هذا الحد ليتسلمها بقية أفراد المجتمع ويتم تناولها بالحديث والاستماع والتعليق والتفسير السلبي والإيجابي بين الناس، ويتخذ الانتشار عدة صور وأشكال بحسب أهمية الشائعة وغموضها، وتنتقل من حالة الهمس والسر إلى حالة الشيوع والجهر، ويزداد سرعة انتقالها كلما كانت ذات تأثير سلبي على الناس وتتعدد وجهات نظر الناس حول تفسيرها ومصادر انطلاقها والنتائج المرتقبة منها، فمنهم من يأخذ دور المفسر لها ويتكهن بحدوثها، ومنهم من يرفض ذلك بحسب خبرة كل فرد وتفسيره لها، ومنهم من يشكك في صحتها ويحذر الآخرين من الوقوع فيها، ومنهم من يتخذ قراراته ويسرع في تنفيذها إذا ما كانت الشائعة تمس نقصاً معيناً في سلعة أو ارتفاع أسعارها في السوق ما يجعل عامة الناس يهرعون لشراء كميات كبيرة منها والاحتفاظ بها في المستقبل خوفاً من المجهول، وهؤلاء هم الفئة التي ينقصها الوعي الكافي "أبو عرقوب: 1994، 11".

3- مرحلة موت الشائعة:

تعد هذه المرحلة نهاية انتشار عمر الشائعة وفنائها، فبوصول الناس إلى النتائج النهائية لها سواء باتخاذ القرارات الحاسمة كما مر بنا أو بالوصول إلى الحقيقة وكشف مصادرها يكون عمر الشائعة قد تبدد واندثر، وقد يستغرق موت الشائعة فترات قصيرة وقد تستمر لبعض ساعات أو أيام أو أشهر، وقد تمتد إلى فترات طويلة تدوم لمدة سنوات أو قرون ثم تموت لتظهر من جديد إذا تهيأت لها الظروف، وتحققت لها شروط الظهور مرة أخرى.

تصنيف الشائعات وأنواعها:

صنفت الشائعات إلى أنواع متعددة اعتمد في بعضها على أساس سرعة انتشارها وفي بعضها الآخر على أساس الموضوعات التي تدور حولها، وفي حالات أخرى صنفت على أساس الدوافع التي تكمن ورائها، وأحيانا صنفت على أساس الآثار المترتبة على انتشارها، وفيما يلي يمكن ذكر بعض هذه الأنواع من التصنيفات:

1 - شائعات ذات علاقة بسرعة الانتشار.

2 - شائعات ذات علاقة بالانفعالات.

3 - شائعات ذات علاقة بالموضوعات المختلفة.

4 - شائعات ذات علاقة بالدوافع.

5 - شائعات ذات علاقة بفئات محددة.

أولاً- شائعات ذات علاقة بسرعة الانتشار:

يعتمد هذا النوع من تصنيف الشائعات على معيار الوقت الذي تنتشر فيه الشائعة، فبعض الشائعات سهلة الانتشار بين الأفراد في المجتمع، وهي تنتشر كانتشار النار في الهشيم، وتأخذ سرعة البرق، ويتم تبادلها بين الناس حتى تعم كل الأفراد، وتكون ذات تنبؤات بوقوع أحداث معينة ينتظرها الناس بفارغ الصبر؛ لأنها ترتبط بوعد مباشر وتثير استجابات سريعة وعنيفة يكون الناس في حاجة ماسة إليها، كالشائعات التي ترتبط بإعداد العدة لتحقيق النصر في المعركة القادمة، وقد يلف هذا النوع من الشائعات بطء تدريجي بسبب المدة التي تحتاجها فترة إعداد عدة المعركة وتوافر الظروف الملائمة لخوضها؛ ولهذا فإن تناقلها بين الناس يكون بطريقة هادئة يتم فيها التحكم في انفعالات الناس والتركيز على الجانب العقلي قبل الانفعالي، و في أحيان أخرى قد يتم التباطؤ في إعداد المعركة بدرجة كبيرة إلى أن تفقد المعركة حماسها ويقل انتظار الناس لها إلى درجة نسيانها، وقد يكون ذلك بسبب تدخل عوامل وظروف استثنائية لم تكن في الحسبان أثناء إثارة حماس الناس واستعدادهم للقتال في بداية المعركة، ثم ما يلبث أن يظهر الحماس من جديد بعد غوصه في الظروف المذكورة سابقا، وهذه الأنواع من الشائعات يطلق عليها أحيانا أسماء مختلفة كالشائعة المندفعة والزاحفة والغاطسة.

ثانياً- شائعات ذات علاقة بالانفعالات:

يركز هذا النوع من الشائعات على التأثير في انفعالات الناس ودفعهم نحو حاجات ومطالب طال انتظارها وربما فات أوان تحقيقها مالم يتم انتهاز الفرصة الأخيرة لتحقيقها وتلبية تلك المطالب والحاجات التي أصبح الناس في أمس الحاجة إليها؛ لأنها تخفف عنهم الآلام وتعيد إليهم الآمال في أنفسهم ولو كانت لفترة قصيرة، وقد تعبر هذه الشائعات عن انفعالات مضادة تستثير في الناس الهلع والخوف بسبب القلق الذي قد تؤديه في حياة الناس وأمنهم؛ ولهذا تتضخم الشكوك نحوها، وتزداد التفسيرات والمخاوف التي تربك الناس وتجعلهم في حيرة من أمرهم كأن يتوقع إفشاء مرض خطير قد لا ينجو منه أحد، أو توهم كارثة طبيعية تجرف كل من تصل إليه أو التنبؤ باستعدادات قوية لجيش معادي يتحرك باتجاه غزو البلاد، وقد تستثير هذه الشائعات مكامن الكراهية والحقد في نفوس الناس وقد تدفع بعضهم نحو التعصب والقتال وتؤجج مشاعر البعض وتعمق الفرقة والانقسام بعد نسيانها من عقول الناس وأذهانهم، كما يحدث حينما ترفع شائعات فرق تسد أو شعارات مغلفة بشائعات عنصرية أو عرقية أو دينية تستهدف فئة أو جماعة محددة يراد بها النيل من مكانتها وقوتها في المجتمع.

ثالثاً- شائعات ذات علاقة بموضوعات محددة:

يرتبط هذا النوع من الشائعات بموضوعات ذات أهداف محددة تخص نظاماً محدداً أو مؤسسات أو مراكز بعينها، وقد تتطرق إلى علاقات بين أفراد أو جماعات تربطهم روابط محددة حيث تبدأ هذه الشائعات في نبش ملفات أو وثائق كانت مخفية يتم الحصول عليها بطرق مختلفة بهدف إفساد تلك العلاقات أو تشويهها أمام الناس، وقد تظهر هذه الشائعات في شكل تحذيرات تخص مؤسسة أو نظاما معينا يراد إسقاطه أو استبداله بحجة اتهامه بالمسؤولية عن خلق أو وجود توتر مالي أو اقتصادي قد يدفع البلاد إلى الإفلاس أو يجرها إلى الاستدانة من مصارف أو بنوك أجنبية أو غيرها. وقد تكون في أحيان أخرى تبريرا و إسقاطا لمواقف محددة ليس لها علاقة بهذه الجهة أو تلك بغرض امتصاص نقمة في الشارع أو تهويل موقف ما يثير رغبة الناس في الحديث عنه، أو صرف الأنظار وتغطية مواقف أخرى على حساب هذا

الموقف أو غيره. وما أكثر الشائعات التي تدور حول هذه الموضوعات التي نسمعها في الحياة اليومية سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو دينية أو غيرها.

رابعاً- شائعات ذات علاقة بالدوافع:

لاشك أن كل تصنيف الشائعات السابقة تحركها أهداف وتثيرها أغراض مختلفة، بعضها يبدو خافتا يصعب الوصول إليه، وبعضها يبدو متأججا يندفع بقوة الهدف نفسه، وبعضها يكون متأرجحا بين هذا وذاك، ويكون السلوك الناشئ من الهدف نفسه هو الدافع وراء كل الشائعات سواء الظاهرة منها أو المستترة فلكل شائعة من الشائعات هدف ودافع، وهذا يعني تعدد دوافع الشائعات بتعدد أهدافها وموضوعاتها، وقد مرت بنا سابقا أهداف تلك الشائعات وموضوعاتها التي تثار ويستجاب لها في حينها. ومن المؤكد أن معرفة دوافع الشائعات يجعلنا نتلمس ردود الفعل والاستجابات نحوها، وهذا ما من شك فإنه يبين لنا دوافعها ويعطينا صورة واضحة عنها تظهر تجلياتها في سلوك الناس وتصرفاتهم في كل مواقف الحياة ومظاهرها المتعددة، وعلى ضوء ذلك يمكن توضيح دوافع الشائعات بحسب النتائج التي تحققها، والزمن الذي ترتبط به وهي تنقسم إلى الآتي:

1 - شائعات ترتبط دوافعها بالمستقبل كشائعات الآمال والطموحات والأحلام وشائعات الإصلاح والتقويم والتغيير وجس النبض.

2 - شائعات ترتبط دوافعها بالحاضر كشائعات القوة والصبر والتحمل، و شائعات التشكيل والتهويل والتشهير، وشائعات بث الفرقة والانقسام والاختلاف.

3 - شائعات ترتبط دوافعها بالماضي وقد تستمر حتى الوقت الحاضر مثل شائعات الخوف والكراهية والتعصب والحقد والعدوان، وهناك شائعات أخرى مثل شائعات التبرير والإسقاط والترويج، وكذلك شائعات فردية وجماعية، وبعضها ذات علاقة مكانية إما أن تكون محلية أو قومية أو عالمية وكل من هذه الشائعات وتلك لها دوافع متعددة أساسية وثانوية، ومنشئ الشائعة أو مصدرها هو الذي يحدد أكثر من غيره دوافع تلك الشائعات.

هذا النوع من الشائعات يخص فئة معينة من الناس قد تشمل استهداف فرد بعينه أو أسرة أو جماعة محددة، وقد تمتد لتشمل جميع الذكور أو الإناث أو الشباب من الجنسين أو غيره، وقد تطال أحيانا معظم فئات المجتمع أو بعض من مؤسساته أو مراكزه الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية أو الإعلامية أو غيرها تبث فيها الشائعات سمومها وتقلل من قيمتها واحترامها أمام الناس، وقد يحدث العكس فتزداد قيمة الأفراد أو الجماعات في عيون الناس بهدف تثبيت شيء ما أو تعزيزه واستمراره في نفوس الأفراد.

دوافع نشر الشائعات:

يختلف الناس في أهدافهم وتطلعاتهم وأمانيهم؛ ومن ثم فإن مسالكهم مختلفة وتصرفاتهم متعددة تعكس طبيعة تلك الأهداف والآمال المرتقبة التي يبحث عنها كل فرد ويستجيب لها بدوافعه التي تحركه نحو تلك الغابات؛ ولهذا فإن دوافع الناس أيضاً مختلفة ومتعددة ومتداخلة مع غيرها؛ ولهذا يصعب معرفتها خاصة أن دوافع الإنسان نحو هدف محدد لم تكن دائماً ثابتة أو مستقرة، فهي متغيرة بتغير أحوال الناس وظروفهم، وبحسب مصلحة الفرد وفائدته التي يتطلع إليها، ومع هذا فإنه يمكن أن نميز بين نوعين من الدوافع: أحدهما دوافع أساسية والأخرى دوافع ثانوية، والفرد نفسه أو الأفراد هم من يحكموا على نوع تلك الدوافع ويستجيبوا لها بدرجات متفاوتة، فحتى في الجماعة الواحدة قد تختلف درجة وشدة وتحمس الأفراد للهدف الواحد، وهذا أيضا ينطبق على دوافع الشائعات التي تروج لها بعض الجماعات وتتبناها. وعلى كل حال فإن المجال هنا يضيق لتصنيف دوافع الشائعات بحسب الأسباب سالفة الذكر، ولكنه يتسع لعدم الخوض في تفاصيله، ومن ثم يمكن توضيح أهم الدوافع التي تدفع الأفراد أو الجماعات لنشر الشائعات في المجتمع.

1- جذب انتباه الآخرين:

في حالات متعددة يمكن أن يكون هذا الدافع من أهم الدوافع التي تحرك الأفراد أو الجماعات للقيام بنشر الشائعات بقصد إثارة انتباه الآخرين حول موضوعات محددة

يتطلب كشفها وعدم الغموض عنها؛ لأنها تمثل بالنسبة للفرد أو الجماعة ضيقا لا يحتمل بقاءه في النفس وألماً يعانيه الفرد أو الجماعة دون أن يشعر به الآخرون؛ ولذلك ينتهز أولئك الأفراد الفرصة المناسبة لبث شائعاتهم وتعرية غيرهم ومضايقتهم بأقبح الشائعات حتى يلتفت إلى مطالبهم وتلبي حاجاتهم، وقد يكون دافع جذب الانتباه مجرد الرغبة في الاهتمام بالفرد وشعوره بأهميته. وتأخذ صور جذب الانتباه إلى الفرد أو الجماعة بواسطة الشائعات صنوفاً شتى يكون بعضها بكتابة كلمة، أو نطق عبارة، أو توجيه لوم، أو تحذير من مشكلة، وتتدرج في مستويات مختلفة حتى تصل إلى اختلاق فتنة، أو افتعال أزمة، أو إشهار سلاح وقد تصل إلى التمرد والقتل.

2- التعصب والعدوان:

قد تحمل الشائعات في ثناياها دوافع مقيتة نحو فئة أو جماعة مكروهة يراد التخلص منها أو إذلالها؛ لأنها اتخذت موقف العداء من بعض الأفراد في المجتمع أو تقاعست عن القيام بواجباتها نحو مجتمعها، أو تحالفت مع العدو، وبذلك فإن الشائعات التي يحملها الأفراد عن هذه الجماعة هي المعبرة عن دوافعها والناطقة باسمها، فمن الشائعات تعرف النوايا.

3- التوتر والإسقاط:

عندما يحمل الفرد أو الجماعة إحباطا نفسيا يشعره بالقلق والتوتر فإنه قد يلجأ إلى تخفيف ذلك الضغط باختلاق بعض الشائعات التي يرى فيها متنفسا لأحلامه، قد تزيل عنه ولو شيئا قليلا من ذلك الكبت، فإنه يقوم بنشر بعض الشائعات التي تلبي له رغباته وتحقق له بعضا من أمانيه وطموحاته بعدما أحس بفشله وخيبة أماله، اعتقاداً منه بأن ذلك سيعيد له توازنه، ويحقق له طموحاته وهو إذ يفعل ذلك الشيء يتمنى آخرون أن يفعلوا فعله حتى تعم الشائعة وتنتشر، متخيلا أن رواج تعميم الشائعة يعبر عن حالات متعددة من أبناء المجتمع يتعين على المجتمع النظر إليها والعمل على إزالتها.

مقاومة الشائعات وكيفية مواجهتها:

تمثل الشائعات خاصة السلبية منها مرضا خطيرا في المجتمع، تنهك قواه وتقلل من عزائمه، وتقتل فيه روح التيقن والمثابرة؛ ولذا فهي تنتقل كأمراض المجتمع الأخرى، وهي تشبه إلى حد كبير الفيروسات التي تهاجم الجسم وتدخله بوسائل مختلفة، فإذا تمكن الإنسان من عزل نفسه عن محيط الآخرين فإنه في أغلب الأحيان يستطيع التغلب على مرضه، وكذلك الشائعات، فهي مرض اجتماعي ينتقل بين الناس، ويتم بواسطة انتقال الكلمات والمعاني، إما بلغة التخاطب المباشر أو بأية وسائل أخرى غير مباشرة، وهذا التفاعل قد يأخذ صوراً مختلفة وأشكالاً متعددة تظهر في نسيج العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في المجتمع، وتنعكس في شكل آراء ومواقف واتجاهات تبدو أكثر وضوحاً في السلوك الاجتماعي للأفراد، ويتأثر هذا السلوك بطبيعة البيئة التي ينمو فيها، والظروف الملائمة لنموه، فكلما كانت حياة الإنسان في أمن واستقرار هدأت ثوراته وقلت انفعالاته السلبية، وكانت لغة التخاطب التي يتفاعل بها تتسم بروح المحبة والوئام، وتبتعد عن روح التعصب والعدوان، وما الشائعات التي تظهر في المجتمع إلا عنواناً يكشف عن طبيعة تلك العلاقات ويعبر عن مظاهر الحياة نفسها، فهي موجودة بوجود الإنسان نفسه، وقد لازمته منذ نشأته، وتعايشت معه في كل مراحل حياته السابقة ولا تزال حتى اليوم؛ ولذا فإن كل المجتمعات تعرضت لها فمنها من اكتوى بنارها ومنها من عمل على تهدئتها واستقرارها بحسب نوعها وشدة انفعالها، فالشائعات السلبية التي تحمل في ثناياها العدوان والكراهية والتعصب وغيرها يتطلب مقاومتها بكل السبل وبمختلف الوسائل التي تعمل على تهدئتها، وتكبح جماحها لأن خطورتها فادحة على المجتمع، تخطط لاغتياله وتعمل على ظهور الفتن والانقسام فيه؛ ولهذا يتعين على الجميع أفراداً وجماعات مؤسسات ومراكز بحثية متخصصة، هيئات ضبطية وقضائية، الإحاطة بهذه الشائعات والعمل على موتها في مهدها قبل استفحال خطورتها، ولا يتم فعل ذلك إلا بوسائل علاجية ووقائية تضع مصلحة الجميع فوق كل اعتبار، وتتبنى نهجاً علمياً يستهدف دراسة تلك الظواهر ودوافعها، ويبحث في آراء الناس واتجاهاتهم، ويستقصي دافع المجتمع وردود أفعاله، ويستفيد من تجارب الآخرين ونجاحاتهم، كي يصل إلى معرفة الحقيقة، وهذا العمل لا يتأتى إلا عبر إنشاء مراكز علمية متخصصة ومدعومة

بذوي الكفاءات العلمية العالية والمختصين في مجال اهتمام علم الشائعات واتجاهات الرأي العام، وبعض الكوادر الأخرى من ذوي التخصصات المشابهة والخبرات الفنية التي تساعد على العمل وتحقق نجاحاته.

أما كيفية مواجهة الشائعة فقد حددها معتز سيد عبد الله في ثلاثة طرق وهـي: "عبدالله: 1997، 330"

1- إظهار الشائعات وعدم التستر عليها:

ويتم في هذه الحالة تخصيص مساحة محددة ووقت مناسب في وسائل الإعلام المختلفة المقروءة أو المسموعة أو المرئية، والقيام بتحليلها تحليلا متكاملا يشمل كل الجوانب النفسية والاجتماعية والإعلامية، ويشترك فيها فريق من الخبراء والمختصين في مواجهة الشائعات لتنفيذها ودحض مروجيها، بطرق علمية وأدلة منطقية، تؤدي إلى إقناع الناس وتعمل على تغيير اتجاهاتهم نحو الشائعة المذكورة.

وقد نجحت هذه الطريقة عندما استخدمها الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ويجب أن يراعى عند استخدام هذه الطريقة الآتية:

أ- عدم تكرار الشائعة عند تكذيبها باستخدام نفس الألفاظ التي استخدمت فيها مع مراعاة الاختصار في الألفاظ المقتضبة الدالة عليها.

ب- القيام بإظهار شخصية مرموقة في المجتمع تحظى باحترام الجميع، وتكون ذات تأثير سياسي واجتماعي وعلمي، يصدقها المجتمع ويقبل تصريحاتها، ليتم إقناع الناس وتغيير آرائهم واتجاهاتهم نحو الشائعات التي تستهدف أمن المجتمع.

2- إطلاق شائعات مضادة:

وتعني العمل على إطلاق شائعات جديدة مضادة ومكملة للشائعات المنتشرة وإضافة أخبار أخرى تؤكدها بطريقة استهزائية، كأن تقول الشائعة تم إعدام أو قتل شخصية مهمة أو شخصيتين، ويتم إدحاضها بإضافة أشخاص آخرين أيضا إلى العدد الأول، ومن

ثم تجرى مقابلات مع من أُشيعت فيهم الشائعة لتكذيبها ومحوها من عقول مروجي الشائعات، وقد نجح (هتلر) في الحرب العالمية الثانية في التعرض لمثل هذه الشائعات حينما أُشيع بأن قادة بعض النازيين قد تعرضوا للإعدام على يد هتلر وقام بعض أنصاره بإطلاق شائعات مضادة، تفيد بأن هناك أعدادا أخرى تم إعدامهم ثم جرى العمل على تكذيب الشائعات بإجراء مقابلات مع من اتهموا بالإعدام.

3- عرقلة الوسائل الإعلامية المستخدمة في نشر الشائعات:

يمكن قطع الطريق نهائيا أمام الوسائل الإعلامية المغرضة التي تنشر الشائعات بوسائل مختلفة، إما التشويش عليها أو التعرض لضربها وما شابه ذلك. ولكن على الرغم من الحد من فعاليتها إلا أنها في أحيان أخرى قد تكون ضارة على أفراد المجتمع، خاصة حينما يبدأ البحث عن وسائل إعلامية جديدة تصرف المواطن إلى رؤية أو استماع وسائل الإعلام المعادية التي تنشر الشائعات ويصعب ضبطها في الوقت الحاضر.

وقد ذكر أبو عرقوب عددا من الخطوات لمقاومة الشائعات وهي:"أبو عرقوب: 1994، 39".

أ - التثبت من مصدر الشائعة:

ويتم ذلك بمعرفة الوصول إلى مصدر الشائعة والتيقن منها لمعرفة دوافع المسئول عنها، والأهداف التي يقصدها، ومن ثم يمكن الرد عليها وتفنيدها بالوسائل المناسبة.

ب - عدم ترديد الشائعات وتناقلها:

إن ترديد الشائعات وتناقلها بين الناس يؤدي إلى وجود بلبلة في الرأي العام، يؤثر على اتجاهات الناس؛ لذلك يجب الحرص على توعية الناس وكتمان كل ما هو مشبوه، فالثرثرة قد تؤدي إلى أخطار فادحة ولو كانت بحسن نية. هذا وقد صاغ البريطانيون في الحرب العالمية الثانية شعارا لعدم تردد الشائعات في الحرب مفاده"الثرثرة تكلف أرواحا"واستخدمه الألمان أيضا تحت شعار"العدو يسترق السمع"وكانت أهدافها في ذلك تحذير الناس من خطر الإشاعة وإجبارهم على السكوت.

جـ- سرعة الرد في حال صدور الشائعة:

إن السكوت عن الشائعة وتركها تتضخم وتتناقل بين أفواه الناس ربما يعني صدقها لدى بعض النفوس الضعيفة؛ لذلك يجب تحليل محتواها ومعرفة مصدرها والتأكد من خطورتها، ثم القيام بالرد عليها بطريقة غير مباشرة من قبل شخصيات مسئولة، تتسم بالصدق وتحظى بالاحترام في الأوساط الشعبية.

د- إنشاء مراكز متخصصة للرد على الشائعات:

إن تحديد مسؤولية الرد على الشائعات في زمن الحرب والسلم يجعل الشائعة تضيق في الأفق، وتقل في الانتشار، وتنحسر في المسؤولية واتخاذ القرار، وهذا من شأنه أن يعيد الثقة في المواطنين ليتأكدوا بأنفسهم ويتصلوا مباشرة بالمراكز المتخصصة، ليستمعوا لردود مسئوليها ويتيقنوا من صدق الشائعات أو كذبها، فالمهم ليس معرفة مصدر الشائعات ولكن المهم التأكد من حقيقتها وقتلها في مهدها.

الفصل الخامس

الحرب النفسية

مقدمة:

عرف الإنسان منذ القدم الحرب النفسية واستخدمها ضد خصومه وأعدائه، ومهد لها قبل أن ينزل ميدان المعركة ويشتبك معه في القتال، وكان هدفه في ذلك زعزعة الثقة وإثارة الخوف، وتجريد العدو من إرادة القتال ومن ثم تحطيم روحه المعنوية وفرض إرادته عليه والاستسلام له ولو بدون قتال، فالحرب أولها كلام، وهذا يعني تهديد العدو وخضوعه للأمر الواقع بشل روحه المعنوية وبث الرعب والفزع في نفوس مقاتليه، وإجباره على التقهقر حتى يتمكن من السيطرة عليه وإلحاق الهزيمة به بأقل قدر من الخسائر.

والحرب النفسية هي حرب شاملة ومخطط لها قبل قيامها لا تستهدف ميدان المعركة أو تقتصر على القوة العسكرية وحدها، بل تشمل كل ميادين القوة المباشرة وغير المباشرة التي تشكل روافد يمكن أن يستعين بها العدو في جلب النصر وتحقيق الفوز، فهي تشمل العسكريين في ساحات الحرب والقتال وتتضمن أيضاً القوة الاحتياطية التي تستعد لمواجهة القتال، كما تشمل المدنيين الذين يحّرضون على القتال ويعملون على رفع روح معنويات جنودهم للتبشير بالنصر وتشجيعهم على القتال والتحفز له.

والحرب النفسية ليست حربا جديدة على الإنسان أو هي من إفرازات العصر الحديث، فقد عرفها الإنسان منذ القدم واستخدمها ضد خصومه وأعدائه، وتغنى بها رجال السياسة والحرب وتقول بها دعاة الشعر واللغة، واهتم بها رجال الفكر والدين، وتعمق فيها خبراء الحرب وقادة الجيوش، ودرسوا دوافعها وتأثيراتها ونتائجها على النفس، وطوروا أشكالها وطرقها وأساليبها، واعتنى بها علماء النفس حديثاً واستلهموا منها العبر والعضة في تحقيق النصر وإحباط مخططات العدو وتحطيم إرادته في القتال، واعتبروها جزءاً أساسياً من المعركة إذا خُططت بطريقة سليمة، ودُرست بفعالية ممنهجة اُعتمد فيها على الخبرة والمعرفة المتخصصة، وقُيّمت فيها الأخطاء وحُسبت بدقة قبل البدء فيها.

والحرب النفسية هي حرب غير قتالية لكنها تعتمد على تأجج القتال والدفع نحوه لتصبح حربا قتالية، وتتخذ شكلاً هجومياً أو دفاعياً، وهي تبدأ قبل بداية القتال وتستمر به وتتواصل معه حتى بعد انتهاء القتال وزوال المعركة، فهي حرب أعصاب وحرب دعاية

وشائعات وحرب أفكار ومعتقدات لا تنتهي حتى تنتهي أسبابها وتتلاشى دوافعها من عقول ونفوس أصحابها. وفي أحوال كثيرة تظهر الحرب النفسية بمظاهر استعراضية يبين فيها العدو قوته ويُرسل فيها أشارات تعبيرية ورسائل نفسية تؤثر في الخصم، وتبين له استعراض جزء من القوة أثناء المناورات العسكرية أو في حالات الاحتفالات الرسمية أو الأعياد الوطنية، وهي تستهدف في ذلك تحطيم معنويات العدو وإخضاعه نفسياً للاستسلام دون حدوث أي اشتباك أو قتال معه في ساحات الوغى.

تعريف الحرب النفسية:

اختلف العلماء في تحديد مفهوم الحرب النفسية باختلاف طبيعة الحرب ذاتها وأهدافها ودوافعها واستمرارها، فجاءت التعريفات متضاربة في معانيها ومختلفة في صياغاتها التعبيرية بحسب شمولية الحرب وتطورها التاريخي وارتباطها بالحرب العسكرية ذاتها وبالتطور الهائل الذي واكبها في العصر الحديث وأصبح جزءا منها؛ ولذا بات تعريف الحرب النفسية يشكل تحديات كبيرة أمام علماء النفس في وضع تعريف محدد يجمع الآراء والاختلافات المتناقضة في شكل تعريف عام جامع مانع يحدد معنى الحرب النفسية ويصفها بدقة، ولكن مع ذلك فإن الجهود العلمية لا تقف عند حد معين، وأن محاولات العلم نفسه متطورة بتطوير مفاهيم الحرب وأشكالها المختلفة.

وفيما يلي استعراض بعض التعريفات.

- "هي استخدام أي وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين" "حجاب: 2005، 15".

- "هي فرض الإرادة على إرادة العدو بغرض التحكم في أعماقه بطرق غير الطرق العسكرية ووسائل غير الوسائل الاقتصادية" "حجاب: 2005، 16".

- "هي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية التي تستهدف جماعات معينة أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها.

واتجاهاتها وسلوكها بطريقة تساعد على تحقيق سياسة الدولة أو الدول المستخدمة لها وأهدافها"" حجاب: 2005، 16".

-"هي معلومات أو أفكار أو مذاهب أو اتجاهات أو نداءات خاصة تنتشر وتذاع أو توزع لتؤثر في آراء ومعتقدات وانفعالات واتجاهات وسلوك فرد أو جماعة أو شعب بأكمله دون استعمال العنف لكي يستفيد الجانب الذي يوجهها بشكل مباشر أو غير مباشر".

-"هي الكلمات والأفعال التي توهن من تصميم العدو على القتال بإضعاف روحه المعنوية"" حجاب: 2005، 18".

-"هي شن هجوم سريع ومبرمج على نفسية وعقل الفرد والجماعة بغرض إحداث التفكك والوهن والإرباك وجعلها فريسة سهلة لمخططات وأهداف الجهة صاحبة العلاقة تمهيداً للسيطرة عليها وتوجيهها إلى الوجهة المقصودة ضد مصلحتها الحقيقية أو ضد تطلعاتها وآمالها في التنمية أو الاستقلال أو الحياة"" حجاب: 2005، 19".

-"هي نشاط غير نشاط القتال الذي يرمي إلى نقل مبادئ ومعلومات بقصد التأثير على الأفكار والعواطف والآمال التي يقوم بها العدو، وتدار هذه الحرب النفسية من قبل قيادة عسكرية بالتوفيق مع عملياتهم الحربية بقصد تحطيم معنويات العدو ورغبته في القتال" "داود: 2003، 341".

-"هي ممارسة التأثير النفسي بغرض تقوية وتدعيم الروح المعنوية لأفراد الأمن من عسكريين ومدنيين وتحطيم الروح المعنوية لأفراد العدو" "ربيع: 2006، 323".

-"هي استخدام الدعاية والإشاعة وغيرها للتأثير على الروح المعنوية للأفراد والجيوش وتغيير اتجاهاتهم وعقائدهم وتشكيكهم في قدراتهم وزعزعة ثقتهم بذاتهم" "القذافي والدويبي: 1999، 402".

-"هي كل عمل سياسي ونفسي يهدف إلى تحطيم معنويات العدو وشل قدراته على القتال ودفعه للاستسلام والخروج من الحرب"" حسن: 2006، 54".

يتضح من التعريفات السابقة أن الحرب النفسية هي:

1 - حرب نفسية شاملة تستهدف التأثير على العدو في كل الجبهات العسكرية وغير العسكرية باستخدام كل الوسائل الممكنة لإحباط مخططات العدو.

2 - حرب إعلامية مفتوحة يراد منها التأثير على العدو وإضعاف قدراته القتالية أمام الخصم.

3 - تستهدف بالأساس الأول تحطيم الروح المعنوية وزعزعة الثقة بالنفس وبث الروح الانهزامية والاستسلام للعدو بدون قتال.

4 - هي حرب مستمرة تبدأ قبل المعركة وفي أثنائها وتستمر حتى بعد زوالها.

5 - قد تشترك في هذه الحرب أكثر من دولة لها مصالح مشتركة ضد عدو مشترك يقف في سبيل تحقيق طموحاتها ولو على حساب نفسه.

6 - تستهدف تغيير اتجاهات وآراء ومعتقدات سلوكية محددة تثير الخوف والفزع وتتناقض مع اتجاهات العدو وأهدافه.

أهداف الحرب النفسية:

1 - التأثير في إرادة العدو على القتال وزعزعة الثقة فيه، والتشكيك في قدراته العسكرية على المواجهة ودفعه على التخلي عن القتال.

2 - تحطيم الروح المعنوية لأفراد العدو، وبث اليأس في نفوس قواته واعتبار الهزيمة أمراً لا مفر منها من خلال المبالغة في القوة والتدريب والتجهيز التقني، والتلويح بالتفوق العلمي والتكنولوجي حتى يشعر العدو أنه أمام قوة لا يمكن أن تقهر، ولا طائل للجهود التي يبذلها في تحقيق النصر.

3 - زعزعة إيمان العدو بالمبادئ والأهداف التي يقاتل من أجلها أمام القوة العاتية واستحالة تحقيق تلك الأهداف، وتضخيم الأخطاء التي يقع فيها حين تحقيق بعض من تلك المبادئ والأهداف.

4 - التشكيك في قدرة الجماهير على المواجهة، والعمل على إيجاد التفرقة والانقسام بين الجماهير وقواتها المسلحة، ودس الوقيعة بين طوائف الشعب المختلفة وقياداته التي تحرض على القتال.

5 - تشجيع القوات المسلحة على الاستسلام، وترك ميدان القتال عبر توجيه النداءات والمنشورات ووسائل الإعلام الأخرى حفاظاً على أنفسهم وتشجيعهم بتسلم أسلحتهم حفاظاً على كرامتهم وكرامة ذويهم، وإيجاد طرق مأمونة لهم تساعدهم على الخروج من ذلك.

6 - إرباك مخططات العدو الهجومية، وفتح ثغرات جديدة لمهاجمته، وإحداث الفوضى والبلبلة في صفوفه، وتشجيع بعض قياداته للخروج عنه.

7 - إظهار عجز النظم الاقتصادية على التمويل وضرب بعض شرايين الحياة الاقتصادية، وخلق بلبلة اقتصادية تدفع الأفراد إلى سحب الثقة في قيادتها السياسية والعسكرية وإخلاصها في الحرب.

أنواع الحرب النفسية:

تختلف الحرب النفسية باختلاف الأهداف التي تسعى إليها وهي تشمل:

أ- الحرب النفسية الشاملة أو الإستراتيجية:

وهي الحرب التي تتصل بمخطط إستراتيجي شامل بعيد المدى تتصارع فيه عقيدتان أو أكثر، وكل منها تسعى إلى إحباط مخططات الآخر، وقد تشترك دولة واحدة أو عدة دول مجتمعة ضد دولة أو عدة دول أخرى تحمل عقيدة وفكرا يختلف عن عقيدة وفكر العدو الآخر كما هو الحال بين حرب المعسكرين الشرقي والغربي.

ب- الحرب المحدودة أو التكتيكية:

وهي الحرب التي يتصل مخططها بأهداف قصيرة المدى توجه ضد دولة محددة من قبل دولة أخرى أو عدة دول بهدف تغيير سياستها أو إفشال مخططاتها التي تسعى إليها كأن تحاول اتخاذ إستراتيجية مختلفة عمّا كانت في سياستها السابقة.

جـ- الحرب النفسية التعزيزية:

وهي تستهدف التأثير على الخصم نفسياً في حالة التفكير في تغيير إستراتيجية العقيدة والفكرة التي تنادي بها الدولة كأن تحاول بعض الدول تبنى نهجاً اشتراكياً أو رأسمالياً يتفق مع آراء واتجاهات بعض قادة تلك الدول، إذ تقوم بعض الدول بشن حرب خاطفة وسريعة تستخدم فيها كل الوسائل الممكنة لتثبيت إستراتيجية العقيدة السابقة.

د- حرب العصابات القومية أو الدينية:

وهي تستهدف إيصال فكرة أو عقيدة معينة يسعى بعض أفراد العصابات المسلحة لتثبتها بالقوة بعدما تخلى عنها النظام، وهذه العمليات يقوم بها أفراد غير نظاميين يستهدفون إضعاف قدرة النظام على القتال وإحداث حالات من الانشقاق في صفوفه، وتأليب الشعب ضده والإحاطة به، وتوصف بأوصاف محددة كالحرب على الإرهاب إذ تتولاها دولة أو عدة دول تمارس حربها النفسية عليهم باستخدام كل وسائل الدعاية ونشر الشائعات بهدف محاربتهم وعزلهم عن المجتمع وتشويه صورتهم أمام العالم، والتشكيك في عقيدتهم وتأليب الرأي العام العالمي ضدهم ومحاصرتهم نفسياً للتخلي عن أهدافهم وعقيدتهم، وقد تتخذ هذه الحرب منحنا دوليا. وفي كل الأحوال، فإن هذه الحروب رغم استخدامها للسلاح وإجبار قادتها وشعوبهم على تغيير اتجاهاتهم وآرائهم ومعتقداتهم فإن العمليات النفسية التي تستخدمها تكون مرافقة لحالة الحرب، وقد تكون سابقة عليها ومستمرة معها ولا تنتهي إلا بانتهاء أسباب الحرب ذاتها وفي أحيان أخرى قد تستخدم الحرب النفسية وتنجح دون استخدام السلاح حينما تشكل الضغوط النفسية والسياسية والاقتصادية والعسكرية قوة تجبر الخصم على المفاوضات والخضوع للأمر الواقع بسبب تأثير الحرب النفسية التي يشنها الطرف الآخر.

مراحل التخطيط للحرب النفسية:

قبل البدء في تحديد مراحل التخطيط للحرب النفسية يجب تحديد بعض الاعتبارات الأساسية التي تتضمن نجاح الخطة التي يمكن تنفيذها على عدة مراحل وهي:

1 – معرفة دوافع واتجاهات وسلوكيات العدو وتصميم قادته على الحرب والقتال وتحييد أصدقائه وحلفائه من دائرة المعركة ليسهل عزله ومن ثم تطويقه نفسياً وعسكرياً.

2 – الإلمام بكل المعلومات والبيانات والحقائق المتعلقة بالعدو وتوفيرها عبر إرسال العيون والجواسيس من داخل بلد العدو وخارجها، والتحالف مع أصدقائه وأعدائه لرصد كافة المعلومات التي تساعد على وضع الخطة وتنفيذها.

3 – أن تكون خطة الحرب النفسية مطابقة للواقع وتتضمن كافة البيانات التي تساعد على نجاحها، وأن تكون مرنة وسهلة التطبيق وأن تتضمن نسبة عالية من التوقعات، ولها القدرة على الاستمرار دون إحداث تعديلات جوهرية عليها.

4 – مراعاة الظروف الداخلية والخارجية التي يمكن أن تؤثر على نجاح الخطة ووضعها في حساب المخططين والمنفذين قبل البدء في إعداد الخطة.

5 – تهيئة السكان المحليين من مدنيين وعسكريين وغيرهم نفسياً لمواجهة العدو وتحمل كل الترتيبات المادية والبشرية التي قد يسببها العدو أو يؤثر بها على المواطنين.

6 – إشراك كل المستويات الفنية والإدارية في رسم خطة الحرب النفسية واعتمادها على مراحل زمنية سهلة التنفيذ، يتولى المخططون الجوانب التخطيطية، ويتحمل المنفّذون مستويات التنفيذ والمتابعة والتقويم.

7 – ضرورة توافر الرغبة والقناعة التامة لتحقيق الأهداف المطلوبة، والعمل على الوصول إليها عبر فترات زمنية متواصلة تحسب فيها الأهداف الفرعية والرئيسة وتحدد فيها الأخطاء وتقوم فيها النتائج.

أ– مرحلة إعداد الخطة:

1– تحديد الأهداف العامة:

وفي هذه المرحلة يتم تحديد الأهداف الأساسية لعناصر وأجهزة الحرب النفسية حيث يراعى فيها تحديد الأهداف الأساسية والأهداف الفرعية لخطة الحرب النفسية ومن

ثم أسبقية العمل من بين تلك الأهداف ومدى توافر المعلومات الكافية عن الهدف ليمكن معرفة نقاط القوة والضعف فيها ثم يبدأ العمل في تطبيق تلك الأهداف بإصدار القرارات والتصديق عليها متضمنة أيضاً الوقت المناسب والوسائل المساعدة لتحقيقها.

2- تحديد المهام والمسئوليات لفريق الحرب النفسية:

وفيها يتم تشكيل فرق متعددة للقيام بمهام العمليات النفسية وتحديد مسؤوليات الأفراد فيها وزمن تنفيذ المهمة، ويتعين التنسيق بين هذه الوحدات والعناصر المختلفة، وفتح قنوات اتصال متكاملة يتم فيها الترابط والتكامل مع كل العناصر المسئولة عن تحقيق تلك الأهداف.

3- تقدير الموقف النفسي:

يتضمن هذا الموقف جمع المعلومات والبيانات وتحليلها تحليلاً كاملاً موضحاً فيه عناصر القوة والضعف ومستعيناً ببعض الأجهزة ذات العلاقة بهذا الموقف لتوفير ما يمكن توفيره من معلومات إضافية تساعد فريق العمل النفسي على نجاح خطة العمل وتوضح كيفية العمل وبيان أولويات العمل النفسي أو السياسي أو العسكري أو الاقتصادي أو الاجتماعي الذي يؤثر على اتجاهات العدو ويشوش على أفكاره، ومن ثم يمكن البدء به في مرحلة التنفيذ مع ضرورة الاعتماد على بقية الأهداف الأخرى المكملة لهذا الهدف، كما يتطلب معرفة حجم إمكانيات العمليات النفسية وتغطيتها لكل الأهداف باستخدام الوسائل المتاح العمل بها كإجراء لقاءات مع معارضين معروفين، أو عقد مؤتمرات مصغرة، أو مفاوضات سرية أو تهديدات عسكرية، أو التلويح بفرض حصار اقتصادي أو سياسي أو عسكري أو غيره على أن يتضمن تقدير الموقف النفسي معرفة كل جوانب القوة والضعف فيه ومؤشرات رد فعل العدو اتجاهه.

4- اختيار الوسيلة المناسبة لإعداد حملة الحرب النفسية:

يراعى في مرحلة إعداد خطة الحرب النفسية معرفة أفضل الوسائل المناسبة للتأثير على العدو فقد تكون الوسيلة المناسبة لبدء الحملة خبراً في صحيفة أو لقاء مع محلل سياسي أو عسكري أو تمرير خبر في إذاعة أو تنفيذ عمليات عسكرية محدودة تبدأ بانتهاك المجال

الجوي أو التشويش على محطات الإذاعة والاتصالات أو إنشاء قنوات إعلامية تستهدف التأثير في معنويات جيش العدو أو نشر منشورات بوسائل مختلفة تحرض على عدم القتال وإلقاء السلاح وتستهدف فقط أفراد محددين في رأس النظام يطلب إزالتهم والتخلص منهم. ويمكن اتخاذ أكثر من وسيلة لشن الحرب النفسية على العدو، ويتوقف ذلك على نوع الهدف الإستراتيجي والسرعة المحددة لتوصيل الرسالة كما يتطلب توافر القدرة والكفاءة العلمية والفنية في القدرات البشرية المسئولة عن اختيار الوسيلة وإعداد الرسالة.

ب- مرحلة تنفيذ الخطة:

وهي تعني الإجراءات العملية التي تم التوصل إليها في المرحلة السابقة وتستهدف تحقيق الأهداف المرسومة وتشمل مرحلة تنفيذ الخطة الآتي:

الإعلان للحرب النفسية:

تنطلق في هذه المرحلة الإشارات الواضحة على تنفيذ الحملة النفسية وفقاً للخطة المحددة سلفاً، إذ يسمح المخططون لأهداف الحرب النفسية بإعطاء الإذن لأدوات التنفيذ التي تكون جاهزة للعمل ومستعدة له بعد أن أحكمت كل تفاصيل الخطة بشكل دقيق واستلم المنفذون مهام العمل ومسئولياته إيذاناً بابتداء الحرب النفسية على العدو، حيث يكون منفذو الخطة جاهزين لاستلام الأوامر كل فيما يخصه، ويبدأ التنسيق فيما بينهم لإحداث إشارة الحرب النفسية بالوسائل التي تم الاتفاق عليها، فقد يكون الاتفاق بإعلان الحرب في وسائل الإعلان أو بإطلاق قنابل من نوع خاص أو إصدار أصوات محددة أو القيام بتهديد عسكري شامل يشمل عدة جبهات مختلفة أو إلقاء منشورات يطلب فيها الاستسلام للأمر الواقع أو القيام بأكثر من وسيلة لإحداث تأثير نفسي يشل حركة العدو ويحطم معنويات أفراده. وفي هذه الحالة يتم ترقب سلوك العدو وردود أفعاله، ومن ثم تقويم خطة الحرب إما بزيادة الضغط عليه وفتح جبهات جديدة ووسائل إعلامية أخرى أو الاكتفاء بالوسائل السابقة حين ظهور إشارات واضحة تدل على استجابته للضغوط النفسية التي تأثر بها، وفي كل الأحوال فإن الحرب النفسية التي تمارس على العدو تخفي وراءها قوة تدميرية مصاحبة لها منذ انطلاقها وحتى انتهاء مراحلها الأخيرة.

ج- مرحلة التقويم:

تمر الحرب النفسية بمراحل متعددة وخطوات مختلفة تخضع كل خطوة من تلك الخطوات إلى إعادة تقييم تحسب فيها الأخطاء والتجاوزات التي يمكن أن تحدث أثناء تنفيذ الخطة، وكذلك توضع فيها تقديرات النجاح والفشل وتتحدد تلك التقديرات بنسب محددة في تغيير سلوك العدو، وتطلق على تلك العملية في مجالها عملية التقويم الشامل التي يعاد فيها تصحيح تنفيذ الخطة من جديد باتخاذ إجراءات جديدة تستهدف استبعاد الأخطاء السابقة وتحقيق نجاحات جديدة في المرات الأخرى. وهذه المرحلة لابد أن تترافق مع خطوات التنفيذ خطوة خطوة ليتم معالجة الأخطاء قبل تكرارها، وهي خطوة مهمة لنجاح الحرب النفسية لا تكتمل إلا بهذه العمليات.

طرق وأساليب الحرب النفسية:

تعددت طرق وأساليب الحرب النفسية وتداخلت فيما بينها، وتنوعت الوسائل المستخدمة فيها بتنوع أهداف الحرب نفسها، فلم تعد هناك وسيلة واحدة تكفي لشن الحرب على العدو، فالحرب النفسية التي يراد بها إجبار العدو على الهزيمة هي حرب شاملة على مختلف الأصعدة والجبهات تستخدم فيها كل الوسائل الممكنة التي يتم بها تحقيق النصر وهذا يتطلب فتح كل الجبهات العسكرية والسياسية والقانونية والإعلامية والاقتصادية وحتى الاجتماعية والدينية التي تعمل على إضعاف قدرة العدو على المواجهة وتشل فاعليته في الحرب، وفيما يلي طرق وأساليب الحرب النفسية:

أ- الأساليب العسكرية:

يستخدم هذا الأسلوب على نطاق واسع في كل الحروب القديمة والحديثة، ويكاد يكون هذا الأسلوب هو الأساس في كل الحروب التي تعمل على إضعاف إرادة العدو وقوته، ويؤدي إلى تحطيم معنوياته وبث روح الهزيمة والاستسلام بين أفراده، ويستخدم هذا الأسلوب وسائل مختلفة وتقنيات متعددة زادت أهميتها بزيادة التقدم العلمي والتقني الذي وصلت إليه بشاعة الحروب وخطورتها باستخدام تلك الوسائل والأدوات التي لم

تكن معروفة في تاريخ الحروب القديمة، فمن بين الأساليب العسكرية التي تستخدم في العصر الحديث ما يطلق عليها حرب المباغتة أو الصدمة والرعب أو الحرب الشاملة أو الخاطفة وغيرها من التسميات التي تحمل مثل تلك المعاني والألفاظ المختصرة، وتستخدم في هذه الحروب أبشع وسائل الدمار التي توجه ضد الإنسان وتعمل على إبادته من على أرضه. والتاريخ الحديث مملوء بمثل هذه المشاهد المرعبة التي تفوق قدرتها قدرة الإنسان في التحمل والصبر، فقد استخدم الأمريكان في غزوهم للعراق كل وسائل الدمار الشامل، وهدد العدو الصهيوني باستخدام كل ما بحوزته من قنابل ذرية ونووية موجهة توجيها دقيقاً إلى عواصم الدول العربية المحاذية له. وتتمثل تلك القوة العسكرية في الترويع وإثارة الرعب والفزع بين العسكريين والمدنيين على حدٍ سواء، وقد استخدم الأمريكان هذا الأسلوب في احتلاله للعراق، إذ وجهت إليه جميع أنواع الأسلحة من البر والبحر والجو بقصف أهداف تتسم بالسرعة والدقة في التصويب واستخدام كل الوسائل التي تثير الصدمة والرعب بما فيها القنابل الموجهة توجيها دقيقاً إلى أهداف عسكرية محددة واستخدام طائرات الأواكس وطائرات الرصد والتشويش وقطع الاتصالات والقاذفات الإستراتيجية المحملة بأطنان من الذخائر والأسلحة المتفجرة التي تضرب بأعماق طويلة تحت الأرض واستخدام سلاح المظلات وتحريك الأساطيل الضخمة في مياه البحار والمحيطات لانطلاق الطائرات المقاتلة منها، وإنزال المدافع والدبابات ذات السرعة القصوى لمباغتة الجنود، والتوغل في أماكن مختلفة من البلاد عبر الحدود المجاورة في شكل دفعات متوالية وسريعة لإحداث ما يعرف بالصدمة النفسية التي يصعب معها تنظيم الصفوف وإعادة تشكيل إستراتيجية المعركة من جديد، فضلاً عن التلويح بالقوة النووية وكافة أشكال الأسلحة الكيميائية والجرثومية إذا تطلب الأمر ذلك. وقد استخدمت عبر تلك الوسائل الملايين من المناشير التي تدعو إلى الاستسلام وترك ميدان المعركة، وهذا يعني التركيز على الحرب النفسية بآثارها النفسية والعصبية أكثر من القوة التدميرية التي يمكن أن تفعلها تلك الحرب.

ب- الأساليب السياسية والقانونية:

تعد الأساليب السياسية والقانونية أحد أدوات الحرب النفسية التي توجه للعدو خاصة في العصر الحديث، إذ تستخدم في التأثير على الروح المعنوية والتقليل من

قوة العزيمة والإرادة التي يمتلكها الخصم، فقد استخدمت الأساليب السياسية في كل المعارك قديماً وحديثاً حيث كانت هذه الأساليب في مقدمة التمهيد للحرب النفسية، فمن الأشكال الشائعة لهذا الأسلوب حديثاً خداع الرأي العام العالمي وتظليله ضد دولة معينة كأن تأوي الإرهاب أو تحميه أو تدعم نضال بعض الشعوب في التحرير من الاستعمار والتبعية أو تمتلك أسلحة الدمار الشامل أو تتهم بالضلوع في جرائم ضد الإنسانية كالقتل والإبادة الجماعية وغيرها من النعوت التي تصف بها بعض الدول بهدف زعزعة الثقة فيها، واعتبارها دولة مارقة عن القانون الدولي يجب محاسبتها وقطع العلاقات السياسية معها، ومن ثم تعرضها للضغوط السياسية وإقصائها عن المنظومة الدولية بإصدار القرارات الدولية لمعاقبتها وشن الحرب السياسية عليها بحرمانها من كل حقوقها السياسية وتقديم المسئولين فيها للمحاكمة السياسية أمام محكمة الجنايات الدولية كما هو الحال مع السودان وكوسوفو وبعض قادة وزعماء أفريقيا الوطنيين، وتستهدف هذه الضغوط الاستفراد بها والقضاء عليها باعتبارها تشكل خطراً وتهديداً للسلام والأمن الدوليين، ومن ثم محاربتها سياسياً للتأثير في الروح المعنوية لأفرادها بهدف تغيير سلوكها وإجبارها على الانصياع والرضوخ للقرارات الدولية التي تملى عليها، بحيث يتم تكيفها عنوة في إطار سياسة القوة التي تفرضها بعض الدول الكبرى تحت غطاء الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية.

جـ- الأساليب الاقتصادية:

من بين أكثر أساليب الحرب النفسية استخداماً في الماضي والحاضر تلك الأساليب التي تعتمد على تجويع الشعوب وإفقارها بغية إذلالها وانصياعها للأمر الواقع بفرض الحصار الاقتصادي والمقاطعة المالية معها لثنيها عن أهدافها وإبعادها عن مسرح الحياة الاقتصادية، وقطع كل معاملات البيع والشراء معها، وتحريض كل الشعوب والأمم الأخرى بعدم التعامل الاقتصادي معها لتجويعها اقتصاديا ومن ثم التأثير عليها نفسياً، وقد استخدم كفار قريش هذا الأسلوب قديما مع الرسول "صلى الله عليه وسلم" منذ ظهور الدعوة الإسلامية في شعاب مكة بمحاصرته مع أصحابه لسنوات عدة لثنيه عن الدعوة الإسلامية وإجباره على تركها، ولا يزال هذا الأسلوب معتمداً في دواليب الحرب النفسية الحديثة وفي دوائر وقرارات الأمم المتحدة ضد الشعوب المغلوب على أمرها. فمحاصرة

الدول الصغيرة اقتصادياً، وقطع التعاملات المالية معها وتجميد أرصدتها وأموالها في البنوك الغربية، وحضر استيراد الأسلحة والتقنية المتطورة وإجبار الشركات العالمية بوقف التعامل معها، وإنهاك مؤسساتها الاقتصادية والمالية وشل حركتها وكل ما يدخل في إطار القوة الاقتصادية بات من الأمور الشائعة التي نسمع بها في كل يوم من هذا العصر. فاستخدام الأساليب الاقتصادية أصبح شرطاً أساسياً من شروط الحرب النفسية التي يستخدمها العدو ضد خصمه، فأمريكا قد استخدمت هذه الأساليب مع الدول المعادية لها ككوبا وكوريا الشمالية وإيران وأفغانستان ومع العراق وليبيا وسوريا وغيرها من الدول الأخرى، كما استخدمتها بريطانيا ضد إيطاليا في سنة 1935 لمنعها من غزو أثيوبيا. ولايزال العدو الصهيوني يستخدم الحصار الاقتصادي ضد الشعب الفلسطيني حتى اليوم لإضعاف الاقتصاد الفلسطيني وفرض شروط الاحتلال، ووقف المقاومة والاستسلام بهدف تركيعه وكسر روحه المعنوية.

إن استخدام الأساليب الاقتصادية في الحرب النفسية يعد من أهم أسلحة التأثير في الروح المعنوية خاصة في زمن الحرب، إذ يعيش الأطفال بدون قوت، وتضطرب الحياة النفسية لأسر الأطفال، وتنقطع الإمدادات الاقتصادية والمعيشية لجنود المعركة، وتنشل مؤسسات المجتمع الاقتصادية ويبقى رهان حسم المعركة لصالح العدو إذا ما توافرت موارد المعيشة وتهيئة سبل الحياة السعيدة لأفراد المجتمع؛ ولذا بات رهان المعركة لصالح من يمتلك القوى الاقتصادية ويوجهها توجيهاً سلبياً قبل أن يستغلها العدو لصالحه.

د- الأساليب الإعلامية:

الحرب النفسية أساسها حرب إعلامية تستخدم الدعاية كوسيلة من وسائلها الإعلامية لتضخم وتضلل وتشكك في اتجاهات الرأي العام، وتثير عواطفه، وتؤجج مشاعره، وتلهب حماسه نحو موضوع معين تستهدفه وتبغي الوصول إليه. وما الحرب النفسية التي يشنها العدو إلا إحدى هذه الأهداف التي يراد منها قتل روح المقاومة وإضعاف إرادة القتال وعدم التحمس له، فأساليب الحرب النفسية كثيرة ووسائلها متعددة ومتنوعة ومتجددة تلائم طبيعة الأهداف، فهي ليست جديدة أو غير معروفة، ولكنها

قديمة قدم المجتمع الإنساني ذاته، استخدمها الفراعنة والأباطرة واعتمدوا عليها في دعم قوتهم على مر العصور، وجاءت من بعدهم أمم وحضارات أخرى استخدمت في قوتها أسلوب الدعاية، واتخذت من وسيلة التضخيم والتهويل هدفاً تسعى إليه لكسب الحرب وتحقيق النصر على العدو، فالمغول قد استخدموا هذه الوسيلة ونجحوا فيها في حروبهم ضد المسلمين إذ أطلقوا الدعايات وبالغوا في تهويل وتضخيم قوة جنودهم ووصفوهم بأوصاف تفوق الحقيقة عدداً وعدة، وأُشيع بين الناس بأن أعدادهم لا تنقطع وأن سرعتهم ومهارتهم في القتال تفوق الخيال كما أن بسالتهم وتعطشهم لشرب الدماء ووحشيتهم في القتال واستنشاقهم لرائحة الحرب لامثيل لها، يصعب تهدئتهم إذا ما ثارت ثائرتهم التي تشبه إلى حد بعيد هياج الأسود في ثوراتها التي تداهم الوحوش وتفترسها مما جعلهم يكسبون المعركة، ويحققون النصر فيها قبل أن تبدأ "حجاب:2005، 46".

وقد استخدم التتار في غزوه ومعاركه ضد الغير نفس وسائل الدعاية، إذ إنهم ألقوا الرعب والهلع في نفوس أعدائهم باستخدامهم للوسائل النفسية المرهبة حينما اعتمدوا على نظرية الحرب بدون قتال إذ كانوا يهيئون الخصم نفسياً بضرب روحه المعنوية، وشل قدرته على القتال، وفرض إرادة القوة عليه حتى يستجيب لهم ويخضع لإرادتهم وذلك باستخدامهم لوسائل التمويه والخداع التي ابتدعوها بأن خيولهم سوابق وجنودهم صواعق وعددهم كذرات الرمال مما أوقع الذعر والفزع في قلوب الأمم التي واجهتهم وانتصروا عليها دون قتال "ربيع: 2006، 332".

ولا تزال الأساليب الإعلامية في الحرب النفسية تمارس بقوة وتستجد وسائل وأدوات متعددة ومتجددة، ففي الحرب العالمية الثانية استخدم الألمان تقنياتهم العسكرية ووسائلهم الحربية في حربهم ضد التشيك مما دفعهم لتسليم أرض السوفييت التي كانوا يحتلوها دون طلقة واحدة "نعامة: -1997 197". وقد اعتاد هتلر في الحرب العالمية الثانية على مثل هذا الأسلوب فكان يرهب أعدائه ويرعبهم بإشاعة قانون الغاب ورغبته في سفك الدماء والتوسع حتى أن تهديداته وإنذاراته أصبحت معروفة بالخوف منه مما دفع دولاً بكاملها إلى أن تستسلم وتذعن لإرادته منذ أول إنذار ودون أن تطلق رصاصة واحدة."نعامة: 1997، 200".

ويستخدم العدو الصهيوني نفس وسائل الدعاية بامتلاكة القنبلة الذرية وأسلحة الدمار الشامل التي تشكل خطراً على كل سكان المنطقة إذا ما فكروا في شن حرب شاملة عليه، وقد استخدمت أمريكا في غزوها ضد العراق هذا الأسلوب، إذ أعلنت عن امتلاكها القدرة للوصول إلى كل الأهداف وتدميرها باستخدام القنابل الموجهة توجيهاً دقيقا، وقد أثارت ضجيجاً إعلاماً واسعا عن ما أسمته قنبلة الانفجار الهوائي الهائل أو أم القنابل التي تُحدث انفجاراً هائلاً يعادل ما أحدثته قنبلة هيروشيما من دمار عند إلقائها على اليابان، وقد دعت وسائل الإعلام لحضور ونقل هذا الانفجار لأول مرة."نعامة -2002 146".

وإذا كانت أساليب الدعاية والحرب النفسية التي يستخدمها العدو تخفي وراءها قوة مضمرة نادراً ما يتم استخدامها أو الكشف عنها فإن هناك عديدا من الوسائل والأساليب الأخرى التي تستخدم في الحرب النفسية وتتخذ أشكالاً مختلفة تكون فيها القوة لمن يسيطر على المعلومات وليس لمن يملك السلاح أو يهدد باستخدامه، فحرب المعلومات أصبحت ضمن حروب العصر الحديث وبالإمكان استخدامها بأقل قدر من الخسائر ودون طلقة واحدة، وفي هذا الشأن يشير (موشى ديان) أحد قادة العدو الصهيوني بقوله:"إننا نستهلك كمية كبيرة من الذخيرة العالية الثمن لندمر مدفعاً واحداً من مدافع العدو أليس من الأفضل والأرخص أن نستعمل الدعاية والحرب النفسية كوسيلة أخرى لشل الأصابع التي تضغط على هذا المدفع""نعامة: 2002 - 193".

لقد أدرك العدو الصهيوني وغيره من الدول الأخرى أن حرب المعلومات أصبحت من الحروب المهمة التي تحقق النصر في حالات متعددة من دون قتال؛ ولهذا تسعى كل أطراف الصراع إلى استخدام الوسائل التقنية التي تهيئ الخصم للاستسلام إما بمنع تدفق المعلومات، أو بالتشويش على محطات الإرسال، أو باختراق وسائل الدعاية وحقنها بمعلومات غير صحيحة تربك العدو وتشككه في أمره، كأن يتم ضخ معلومات كاذبة عن سير المعارك عبر الإذاعات الموجهة أو المنشورات التي تُلقى من الجو أو عبر وسائل الإنترنت أو الحاسوب أو الهواتف النقالة وغيرها من أدوات الدعاية التي تستخدم في الحرب النفسية. وقد استخدمت الإذاعات في وقت سابق في كل أعمال الحرب النفسية ولا تزال أهميتها حتى اليوم، ففي سنة 1915 أنشأ الألمان إذاعة ناون بهدف بث الأخبار

والمعلومات المتعلقة بالحرب مع الحلفاء، وقد استطاع هتلر في سنة1935 أن يذيع خطبته عبر 56 مليون جهاز استقبال، كما عمل على توجيه الإرسال الإذاعي إلى دول أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا وأستراليا، وكان يستهدف بثه تحطيم معنويات العدو وتقوية معنويات جنوده ورفع إرادة القتال لديهم، إذ كان يستخدم البرامج الإذاعية المتنوعة التي تشمل أخبار الحرب والموسيقى والأغاني التي تحرض على القتال وتدفع الروح المعنوية، وقد نجح نجاحاً باهراً في تقوية الروح المعنوية لجنوده "حجاب: 2005، 324".

وقد اعتمد السوفييت نفس الوسيلة في حربهم مع الإنجليز، إذ كانت إذاعة موسكو الموجهة ضد الإنجليز تبث براجمها باللغة الإنجليزية مما أفزعت الإنجليز أشد الفزع وأدى ذلك إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما في سنة 1927. واهتمت إيطاليا بالوسيلة ذاتها، إذ وجهت إرسالها إلى الأمريكتين والعالم العربي وأثيوبيا وبعض البلاد الأخرى، بهدف زعزعة الثقة ضد الإنجليز إذ كانت تنشر الأخبار الكاذبة والقصص والأغاني التي تبين ضعف الإنجليز وخبثهم مما دفع الإنجليز لإنشاء إذاعة موجهة ضد الإيطاليين تذيع الأخبار وتنشر المعلومات المتعلقة بالحرب وكانت أول إذاعة إنجليزية تنشئها بريطانيا خارج حدودها، وقد غطى إرسالها معظم دول العالم إذ كانت تلتزم بسياسة إعلامية قوية قوامها الصدق وتجنب نشر الأكاذيب مما جعلها تحظى بثقة عالية من قبل كل المستمعين إليها تحت اسم هيئة الإذاعة البريطانية B.B.C وكانت تستهدف إضعاف روح العدو المعنوية وكسب ود الحلفاء، وتشجيع الأصدقاء "حجاب: 2005.326".

وحينما دخلت أمريكا الحرب مع الحلفاء ساهمت بنصيب كبير في زيادة الحرب النفسية عبر أساليب الدعاية التي تبثها إذاعاتها من نيويورك وسان فرانسيسكو في الداخل وعبر المحطات الخارجية التي أنشأتها لهذا الغرض كالإذاعة الأمريكية التي تبث من لندن تحت اسم A.B.S.U وكانت بمثابة محطة تقوية لإذاعة صوت أمريكا، تستهدف الدعاية كوسيلة من وسائل الحرب النفسية التي توجه ضد العدو "حجاب: 2005.326"

وتزايد الاهتمام الأمريكي بالحرب النفسية لاسيما في حرب الخليج الأولى، إذ أشغلت المستمع العربي لعدة سنوات بأخبار الحرب التي تجري على الساحة العراقية عبر

إرسالها للبرامج التي تبث من أماكن متعددة سواء عبر طائراتها المخصصة لهذا الغرض أو من على أرض السعودية، وكانت موجات البث التي تستخدمها أمريكا قريبة من موجات بعض القنوات العربية حتى أن المستمع العربي يفاجأ في كثير من الأحيان بالاستماع إلى هذه القنوات، وقد يحدث في حالات أخرى أن يتم البث على نفس تردد موجات الإرسال العربي خاصة حينما ينتهي الإرسال لهذه الإذاعات، إذ تجد المواطن العربي يستمع لهذه القنوات التي تقلد الإذاعات العربية المحلية في برامجها المسموعة باللغة العربية بهدف نشر معلومات وتزييف وقائع محددة أو اتخاذ أوامر معينة إذ أصدرت أوامرها من الجو بالتخلي عن صدام حسين وترك المعركة بقولها: لا تسمحوا لصدام بعد الآن بتلطيخ سمعة الجندي العراقي، فصدام حسين يستخدم القوات المسلحة لقهر أولئك الذين لا يتفقون مع أهدافه الظالمة. اتخذ قرارك الآن "حجاب: 2005. 328".

لقد استخدم خبراء الجيش الأمريكي الأساليب الدعائية في الحرب النفسية ضمن خططهم العسكرية التي تلازم المعركة وتستمر بها وهي لا تتورع عن الكذب حينما تقول: إن الحرب التي تشنها أمريكيا ضد العراق تستهدف فقط صدام حسين وليس الشعب العراقي الصديق وهي تدعي لنفسها أنها جاءت لتخليص الشعب العراقي من نظام حكمه الظالم، وترحب بكل المحبين للحرية والسلام وتتوخى التعاون معهم، وترك أسلحتهم في الميدان من أجل حماية أنفسهم والعودة إلى أسرهم سالمين.

هذه الأساليب الدعائية المستخدمة في الحرب النفسية ليست جديدة على الإدارة الأمريكية، فقد استخدمتها أيضا في أفغانستان وأعلنت أن أمريكا صديقة للشعب الأفغاني ولكل المسلمين في أنحاء العالم، وقد أعدت في حملتها العسكرية ضد الشعب الأفغاني في اليوم الثاني من الهجوم آلاف من أجهزة الراديو المسموعة التي تم تصميمها بكيفية يدوية يتم تشغيلها بالزنبرك بدلا من البطارية أو الكهرباء التي يفتقدها الشعب الأفغاني بحيث تساعده للاستماع للبرامج الموجهة إليه من محطات الإرسال الأمريكية التي تبثها الطائرات المخصصة لهذا الغرض أو عبر محطات أرضية محددة تلتقط بث القنوات الأمريكية فقط بلغة الشعب الأفغاني. "حجاب: 2005. 66".

ولم تقتصر الحرب النفسية الدعائية على البث الإذاعي المسموع فقط بل اشتمل أيضا المرئي بوسائله المختلفة، وبرامجه المتعددة التي تؤثر في المشاهد بشكل مباشر عبر الصوت والحركة واللون لنقل أحداث المعارك مباشرة عبر الأقمار الاصطناعية وقنوات الاتصال الفضائية التي تزيد المعركة حماساً وتسهم في إحداثها عبر تحليلات وآراء المختصين في السياسة والحرب وغيرها، وبذلك فهي تعد وسيلة مهمة من وسائل الحرب النفسية التي تلازم الحروب وتدخل ميدان المعركة عبر مراسليها الإعلاميين الذين ينقلون التفاصيل ويواكبون الأحداث حدثاً بحدث.

ومن ضمن الوسائل الإعلامية المستخدمة في الحرب النفسية حرب المنشورات التي أصبحت من بين أهم الوسائل التي يركز عليها العدو في حربه ضد الغير، فقد ازدادت أهميتها في العصر الحديث وأصبحت ضمن أسلحة الحرب النفسية التي تنفذ بوسائل تقنية حديثة تستخدم فيها الطائرات من الجو لتلقي بأطنان منها على المدنيين والعسكريين لبث الخوف في نفوس الأفراد وتحييدهم عن ميدان المعركة، وقد عمدت القوات الأمريكية في حربها ضد العراق من إلقاء أكثر من 30 مليون منشور على مختلف المدن العراقية وفي ساحات المعارك احتوت على إنذارات موجهة لأفراد الجيش تحثهم عن الاستسلام والهروب وعدم التعرض لقوات التحالف، حتى لا ينالهم أذى كما بينت لهم كيفية الاستسلام وطريقة الهروب إلى الأماكن الآمنة، وعادة ما تكتب المنشورات بلغة الخصم الذي يراد منه الاستسلام، وقد تحمل أحياناً صوراً لبعض الأفراد المطلوبين وفي أحيان أخرى صوراً لبعض الأفراد الذين يقومون بأفعال شنيعة ضد النساء يتم تركيبها أو مزجها بصور أخرى يطلب فيها قتلهم أو أسرهم والانقلاب عليهم كما جرى في أفغانستان حينما طلب الأمريكان إخراج العرب من دائرة المعركة وطردهم إلى بلدانهم والقضاء على حركة طالبان ليفسح لهم المجال بدخول أفغانستان، واحتلالها بدون مقاومة "حجاب: 2005، 67، 180، 219".

وبازدياد نشر المعلومات تعددت الوسائل الإعلامية وتنوعت أهداف وطرق ووسائل الحرب النفسية، وانقلبت أجهزة الحاسوب"الكمبيوتر والإنترنت"عن أهدافها الإنسانية التي يراد منها انتشار المعرفة وصولاً إلى كل بيت لتصبح أداة سهلة في يد أعداء السلام وسماسرة الحروب حتى أنها أحياناً خرجت عن نطاق الدول، وأصبحت معبرة عن

اتجاهات الأفراد في السلم والحرب تعصف بكيانات الدول وأنظمتها وربما تقود الدول لشن الحروب ضد غيرها من خلال معرفة اتجاهات الرأي العام وتأثر الساسة به.

لاشك أن توافر المعلومات واتساع تداولها بين الأفراد والدول على شبكة الإنترنت أحدثت طرقاً جديدة للحرب النفسية لم تكن معروفة من قبل، فقد استخدمت هذه الشبكة في تهيئة الرأي العام لشن الحروب بين الدول، وأحدثت صراعات جديدة بين القوميات الدينية والعرقية والطائفية عبر مواقع الشبكة، فقد حدثت صراعات دينية بين مواقع إسلامية ومواقع يهودية حاول كل منها أن ينشر معلوماته ويدعم مواقفه في اتجاه الطرف الآخر محاولاً اختراق موقع الآخر، كما حدث حينما حاولت بعض العصابات الصهيونية اختراق مواقع عربية إسلامية تدعم الانتفاضة الفلسطينية وتتصدى لها، وكان الرد الفلسطيني واضحاً في فشل تلك العصابات في اختراق الموقع بل قاموا بالرد على اللوبي الصهيوني والهجوم على موقعه عبر تعطيله والوصول إلى قاعدة المعلومات التي ينشرها.

وتشمل الحرب النفسية على شبكة الإنترنت بين الدول اختراع أنواع جديدة من الفيروسات وزرعها في المواقع المعادية، بهدف تعطيل المعلومات أو بث معلومات دعائية معادية تخلق الفتنة وتزرع الطائفية والمذهبية بين العسكريين ليمكن التغلب عليهم ومن ثم إلحاق الهزيمة بهم.

هـ- الأساليب الدينية:

من أخطر أساليب الحرب النفسية الدعائية استخدام الدين لأغراض حربية، فالدين لا يقبل الجدل أو النقاش فيه خاصة إذا ترافق ذلك بفتاوى شرعية من قبل رجال الدين المعروفين بسمعة طيبة، وقد يتعمد العدو أحياناً تحت الضغط والإكراه استخدام بعض رجال الدين لإصدار فتاوى شرعية تحرّض على عدم الجهاد أو نشر الدين أو تأمر الناس بعدم القصاص من العدو حينما ينتهك حرمات المسلمين أو أراضيهم، وقد نجحت أمريكا في هذا الأسلوب حينما ربطت بين دفاع المسلمين عن أراضيهم والإرهاب، مفسرة أن الإرهاب يشمل كل أشكال الاعتداء على الآخر ولو كان باحتلال الأرض أو تدنيس العرض، أو قتل الناس وتشريدهم من بيوتهم، كما يحدث في فلسطين والعراق وأفغانستان، إذ

ربطت بين حق الدفاع المشروع عن الأرض والعرض وبين المعتدي الذي ينتهك الحرمات، ويقتل الأطفال والنساء والشيوخ في بيوتهم مدعية ربط الإسلام بالإرهاب، ومعتبرة أن الإشارات والرموز الدينية تشكل خطراً على العالم؛ ولذا يجب التخلص من حجاب المرأة ومنعها من ستر جسمها وعدم دخولها الأماكن العامة متحجبة وفي قاعات الدراسة والعلم في المدارس والجامعات الأمريكية والغربية. وتدلنا النماذج التاريخية القديمة أن أعداء الإسلام في غزوهم لبلاد المسلمين قد استغلوا الدين الإسلامي في أساليبهم الحربية التي مارسوها على أهل مصر فها هو (نابليون بونابرت) يدعي في غزوه لمصر أنه مبعوث رحمة للناس وشفقة عليهم من بعض الظالمين الذين أوقعوا الفتنة بين أهالي مصر وأنه استجاب لأمر ربه رحمة بالعباد كي يحميهم من ظلم الظالمين بقوله: "أعلمكم أن بعض ضالى العقول أوقعوا الفتنة والشرور بين قاطني مصر فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة والبارئ سبحانه وتعالى أمرني بالشفقة والرحمة بالعباد فامتثلت لأمره وصرت رحيما بكم شفوقا عليكم".

"أيها العلماء الأشراف إن الذي يعاديني ويخاصمني لا يجد ملجأ ينجيه مني في هذا العالم ولا ينجو من الله لمعارضته لمقاديره سبحانه وتعالى، والعاقل يعرف أن ما فعلناه هو بتقدير الله تعالى وإرادته وقضائه ومن يشك في ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة "عبد الله: 1997، 20".

و- الأساليب الاجتماعية:

لا يمكن للحرب النفسية أن تستغني عن أي أسلوب من أساليبها البشعة مادام ذلك يحقق لها جزءا من النصر على الخصم؛ ولذا فهي تسعى دائماً إلى البحث عن كل الأساليب، وتطرق كل الأبواب التي تحقق بها سياستها، ومن بين تلك الأساليب الاجتماعية التي تستهدفها الحرب النفسية أسلوب فرق تسد حيث تستخدم الدعاية كوسيلة من وسائل التفريق بين أفراد الشعب الواحد، إذ تلجأ إلى دس المؤامرات وإثارة الفتن وخلق النزاعات الطائفية والمذهبية بهدف إضعاف وحدة الصف وتدميره بشتى الوسائل الممكنة، كإحياء الصراعات القديمة، وإثارة النعرات القبلية، وإلصاق التهم ببعض الأفراد وتشويه

سمعتهم، واستثارة روح الكراهية والحقد بين فئات المجتمع كما هو الحال في التفريق بين أبناء الشعب الفلسطيني الواحد في فتح وحماس وبين المسلمين والمسيحيين في مصر وبين السنة والشيعة والأكراد في العراق وبين شمال السودان وجنوبه، وكذلك الحال في الطوائف الدينية في لبنان وفي كثير من أنحاء الوطن العربي الأخر. ولم يكن هذا الأسلوب جديدا في بشاعته إذ استخدم قديما في أثناء ظهور الدعوة الإسلامية مع الرسول صلى الله عليه وسلم حيث عمد الكفار إلى هذا الأسلوب بهدف زعزعة الثقة فيه، وإثارة الفتنة والتفرقة بينه وبين أقربائه وأصحابه، إذ حاول أعداء الإسلام من الكفار تأليب عمه أبو طالب عليه مرة بأسلوب الاستمالة وأخرى بأسلوب التهديد والوعيد وحاولوا أيضا التفريق بينه وبين أبي بكر الصديق أثناء إعلان الرسول لحادثة الإسراء والمعراج بالتقرب إلى أبي بكر وطلب تكذيبه، غير أن أبا بكر الصديق رفض طلبهم وخيب أملهم، وانضم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم معلنا تصديقه لما جاء به الرسول في حادثة الإسراء والمعراج. "عبد الله: 1997، 300".

الوقاية من الحرب النفسية:

لاشك أن كل الحروب بمسمياتها المختلفة العسكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية والدينية والاجتماعية التي حدثت في الماضي أو الحاضر أو التي تحدث في المستقبل تحركها دوافع نفسية وتستثيرها رغبات ومطالب بيولوجية اجتماعية تكون مدفوعة بعوامل نفسية ذاتية أو اجتماعية تؤجج الصراع وتلهب مشاعر الحماس وتحركه نحو الخصم ليتم الاعتداء عليه أو التقاتل معه إما بهزيمته في ميدان المعركة أو الإجهاز عليه، أو قتل إرادة القتال فيه ودفعه نحو الاستسلام، ومن ثم كبح جماحه والسيطرة عليه، وهذا يعني أن بداية كل الحروب ونهايتها مرتبط بعوامل نفسية، كما أن الوقاية منها والتصدي لها هو الآخر مرهونا بتلك الدوافع والأسباب التي تستثير المطالب والحاجات وهو ما يجعل علم النفس وعلم النفس الاجتماعي بصفة خاصة في مقدمة العلوم التي تفسر وتحلل دوافع الحروب وأسباب قيامها وسبل مواجهتها والتصدي لها.

فالوقاية من الحرب النفسية تعتمد على معطيات العلوم النفسية التي تفسر وتحلل السلوك الإنساني وترده إلى عوامله الأولية ومن ثم تتنبأ بما سيكون عليه هذا السلوك

لاحقا؛ و لهذا فإن الوقاية من الحرب النفسية تحتاج لوضع خطة عملية كخطة قيام الحرب ذاتها حتى يتسنى للمخططين معرفة الأسس والأهداف التي تقوم عليها عمليات العدو النفسية، لكشفها وتعريتها وإحباط كل المخططات الدفاعية لعملها، وهذا يتطلب أن يكون علماء النفس والإعلام ضمن فريق عمل متكامل لإعداد خطة دعائية تستخدم فيها كل الأجهزة الإعلامية لدراسة طبيعة واتجاهات العدو ومعرفة أهدافه ونواياه وأساليبه الإستراتيجية والتكتيكية التي لم يكشف عنها حتى يمكن تحصين السياسة الدفاعية ضد الحرب النفسية لمختلف فئات الشعب وجنوده من أجل تعبئة العمل الدعائي ووقاية الجماهير منه، ومن ثم تحويل موقف الرأي العام من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم على العدو والتأثير فيه بواسطة الإقناع العقلي والتأثير العاطفي، ولا يمكن تحقيق تلك الأهداف إلا برفع معنويات الجبهة الداخلية وتقوية إرادة القتال والتحمس له، وصد كل محاولات العدو ومنعه من تحقيق النصر.

ونظرا لأهمية الدعاية في الوقاية من الحرب النفسية فقد اهتمت بها كل الدول على اختلاف مذاهبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ورصدت لها الإمكانيات المالية والبشرية وقامت بتأهيل الكوادر العلمية المتخصصة في هذا المجال واستخدمت كل الوسائل الفنية والتقنية التي تساعد على وضع خطط العمل الوقائي، كما أنشئت المؤسسات العلمية القادرة على توجيه الدعاية ضد الخصم وتأسيس جمعيات عالمية في كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا استهدفت التأثير في عقول الأفراد و تغيير اتجاهات الرأي العام المحلي للوقاية من الحرب النفسية واستمرت تلك الوسائل والأدوات حتى بعد انتهاء الحرب. "نعامة:2002، 176".

وللوقاية من الحرب النفسية لابد من توافر عدد من الشروط لنجاح العمل الدعائي النفسي الذي استهدف تحصين الجماهير وحمايتها من أخطار تلك الحرب وفي مقدمتها أن يكون العمل الدعائي مرتبطا بالسلوك العملي ومعتمدا على الإقناع العقلي والتأثير النفسي الذي تؤيده الأدلة و الحجج والبراهين الدالة عليه، وأن تكون المعلومات دقيقة غير غامضة يسهل فهمها لكل الأفراد وصادقة في تلبيتها لاحتياجات الناس مثيرة لاهتماماتهم وملبية لرغباتهم ومقنعة لأفكارهم وتطلعاتهم.

خطة الوقاية من الحرب النفسية:

يستلزم عند وضع خطة الحرب النفسية مراعاة الشروط السابقة مع ضمان القدرة في تطبيقها على المستوى المحلي، كما يتطلب اتخاذ عدد من الإجراءات الآتية وهي:

أ- على المستوى المحلي:

1 - معرفة الحالة النفسية لأفراد الشعب خاصة أفراد القوات المسلحة ومدى تهيئتهم لقبول الاتجاهات الجديدة التي تدحض آراء العدو وتقلل من تأثيراته النفسية.

2 - تحديد الوسيلة أو الوسائل الإعلامية المناسبة التي تصل إلى كل الأفراد في المجتمع لمخاطبتهم وإقناعهم والتأثير فيهم.

3 - تبصير الجماهير في الجبهة الداخلية بالأساليب الدعائية المغرضة التي يستخدمها العدو لخداع وتضليل الرأي العام المحلي.

4 - توعية أفراد الشعب بأن العدو يستهدف قتل إرادة القتال وتحطيم معنويات أفراد الشعب المسلح.

5 - استنارة الوعي الإعلامي والتزام قول الصدق وتجنب الكذب الإعلامي في الحرب النفسية.

6 - تقوية الجبهة الداخلية برص الصفوف ورفع المعنويات عبر استعراض القوة العسكرية التي تعيد الثقة وتحقق الأمل.

7 - التركيز على مبدأ الحق المشروع في الدفاع عن الوطن وتحرير الأرض والعرض وتنمية الشعور القومي لكسب المعركة.

8 - التصميم على خوض المعركة من جديد وعدم منح العدو أي فرصة لاختراق الجبهة الداخلية.

9 - العمل على سد كل الفجوات التي تفسد وحدة المجتمع أو تخل بالتزاماته والانضمام تحت قيادة واحدة.

10 - كسب الرأي العام المحلي والدولي بجعل الشعب ضحية للعدوان.

11 - عقد الندوات واللقاءات على مختلف الجبهات السياسية والاقتصادية والإعلامية لتكذيب العدو وفضح مخططاته وإفشال مؤامراته.

12 - استخدام الدين كوسيلة من وسائل رفع الروح المعنوية، وتشجيع المواطنين للتأهب لقتال العدو لتحقيق النصر في الدنيا أو نيل الشهادة في الآخرة.

13 - اطلاع الشعب وقواته المسلحة على كل الأحداث والمواقف التي يتعرض لها أولا بأول حتى لا يضطر لسماع إذاعات العدو مع التركيز على عدم إذاعة الأخبار والمعلومات المتعلقة بالظروف العسكرية والاقتصادية حتى لا يتم استغلالها من قبل العدو.

14 - دحض كل الشائعات ومحاسبة مروجيها وإنزال أقصى العقوبات بهم.

ب- على المستوى الخارجي "الجبهة الخارجية":

1 - دراسة سلوك العدو ومعرفة أهدافه وعقيدته، وكشف نواياه المعلنة والخفية للوصول إلى مواطن الضعف فيه، ومن ثم توجيه العمل والتركيز على تلك الأهداف والنوايا.

2 - تشويه صورة العدو وسمعته أمام أصدقائه وحلفائه، وكشف خباياه لعزله عنهم، ومحاولة إبعاده وتطويقه باستغلال تلك الخبايا.

3 - ضرب العدو بنفس أسلحته عبر تكذيبه وتقزيمه والحط من قيمته وهزيمته.

4 - دحض آراء العدو وبث الشكوك فيه وتنمية الأحقاد بين قواته لإجباره على الاستسلام والتشكيك في قدرته على النصر، واعتبار الحرب التي يشنها عبثا وانتحارا.

5 - تحميل العدو مسؤولية بدء شن الحرب ومن ثم مسؤولية التعويض عن الأضرار التي تلحق الطرف المعتدى عليه، بقصد إحداث أزمة اقتصادية وقانونية تلاحق العدو حتى بعد انتهاء الحرب بسبب تهور قيادته ودفع بلاده إلى الأزمات والكوارث.

6 –حصر مسؤولية الحرب على بعض قياداته الطائشة، والمطالبة بهم لمحاكمتهم جنائيا أمام المحاكم الدولية لإحداث هزة نفسية تشجع على الانشقاق والتفكك بين أوساط المدنيين والعسكريين.

7 – مساعدة بعض العناصر المناوئة للحرب وتقديم المساعدات المالية لهم بغية إحداث شرخ في صفوف العدو وقواته.

8 – تشجيع أفراد العدو على الاستسلام والهروب من ميدان المعركة، وتأمين خطط خروجهم منها بعدم التعرض لهم بالقتل حالة تنفيذ قرار الاستسلام وترك السلاح.

9 – التشويش على محطات الإذاعة ووسائل الإعلام الأخرى واختراقها لبث حالة من الرعب والفزع بين الجنود، وكسر إرادة القتال لديهم.

تقدير نجاح أو فشل خطة الوقاية من الحرب النفسية:

إن تقدير نجاح أو فشل فعالية خطة الحرب النفسية التي تم تصميمها بعناية فائقة من قبل الاختصاصيين في الحرب النفسية، وتحويلها من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم يستوجب معرفة تقييمها والوقوف على جوانب القوة والضعف فيها ومدى تأثيرها في أوساط المدنيين من الشباب والاحتياطيين في الخدمة العسكرية، وعلى بقية أفراد المجتمع الآخرين الذين وجهت إليهم وسائل الدعاية النفسية. وعلى الرغم من صعوبة التحقق من نجاح أو فشل خطة الحرب النفسية التي تستهدف تحطيم معنويات العدو، وكسر إرادة القتال فيه وهزيمته إما بسبب التأثيرات الناجمة عن العمليات العسكرية التي يواجهها أو بسبب عدم ظهور النتائج في وقت مبكر، إلا أنه يمكن الحصول على بعض المؤشرات الدالة على نجاح الخطة وهي تتمثل في:

1 – معرفة نسبة التغيرات الطارئة في سلوك العدو اتجاه الحرب من خلال المناورات التي يبديها مع أطراف مباشرة أو غير مباشرة بشأن التفاوض ووقف العمليات العسكرية وضعف المستوى المتدني للتصميم على استمرار الحرب.

2 – ملاحظة هبوط مستوى التوتر النفسي في وسائل إعلام العدو وقواته العسكرية، والجنوح نحو التهدئة الإعلامية النسبية، والتقليل من حدة الانفعالات المصاحبة

للحرب على كافة المستويات، واعتبار الحرب خسارة لكل أطراف النزاع المسلح، فالمنتصر خاسر كالمهزوم والخاسر غير منتصر.

3 - زيادة نسبة ارتفاع الأسرى والمستسلمين في المعارك، وفقد أعداد أخرى من المجندين، وهروب أفراد آخرين من قوات الاحتياط.

4 - زيادة نسبة ارتفاع المنشورات الملقاة في حوزة الأسرى ما يعني تحقيق المنشورات لأهدافها في الاستسلام أو ترك ميدان المعركة عبر الخطوط التي تحددها المنشورات لتأمين حياة الأسير.

5 - ملاحظة زيادة التشديد في إصدار الأوامر والتعليمات التي تدعو إلى عدم الاستماع إلى الإذاعات التي تنقل أخبار الحرب وتعرض تفاصيلها حتى لو كانت طرفا محايدا في الصراع المسلح واعتبار ما تذيعه من بيانات وتقارير، وما تنشره من صور وأحداث واقعية كذبا ليس له صلة بالحقيقة على الأرض.

6 - اتهام وسائل الإعلام التي تنقل الأحداث من ميدان المعركة بالكذب والتزوير ووقف كافة المراسلين الإعلاميين ومنعهم من دخول ميدان المعركة بحجة تسرب المعلومات العسكرية التي تؤثر على جبهات القتال واعتبارهم جواسيس ومرتشون يعملون لصالح العدو وينفذون خططه.

7 - ملاحظة اهتمام العدو وتركيزه على متابعة و سائل إعلام الخصم المختلفة كي يتحصن ضدها ويحمي نفسه من خطر مواجهتها محاولا الرد عليها كلما أمكن باستخدام ذات الوسيلة وبأقصى سرعة ممكنة خوفا من حدوث هزة نفسية محتملة في عقول وقلوب أفراده المدنيين و العسكريين، وبادئ في أحيان أخرى عدم اهتمامه بما يراه في وسائل إعلام الخصم حتى يقلل من قيمة تلك الوسائل والأدوات التي يتهمها دائما بنشر الأكاذيب وتلفيق التهم معتبرا أن ما تنشره لا يستحق هذا الاهتمام ولا يتطلب رؤيته أو الاستماع إليه أومن تابعيه.



الفصل السادس
سيكولوجية التعصب

مفهوم التعصب:

يشير مفهوم التعصب إلى وجود اتجاه نفسي لدى فرد أو جماعة أو مجتمع يسيطر عليه انفعالياً بسبب خبرات ماضية تؤثر فيه ويدفعه لسلوك معين ضد أو مع فرد أو جماعة أو مجتمع آخر يختلف أو يتفق معه في الأفكار والمعتقدات والتصورات التي يرغبها ويتصور حدوثها ولو لم تستند إلى دليل علمي يثبت حقيقتها.

والتعصب بهذا المفهوم يرتبط بوجود مشاعر قوية تحرك الفرد المتعصب أو الجماعة وتنمي فيها اتجاهاً انفعالياً قد يكون إيجابياً وقد يكون سلبياً، بسبب تراكم أهداف ووقائع سارة أو مؤلمة أدت إلى وجود خبرات ارتبطت بطبيعة المواقف التي تعرض لها الفرد أو تأثر بها عبر محيط التنشئة ووسائلها المتعددة، فأصبحت تحمل اتجاهاً يتفق مع طبيعة تلك المواقف والخبرات التي يرغبها وإن كانت لا تستند إلى حقيقة علمية.

وينزع الأفراد المتعصبون إلى تحريف وتشويه وإساءة تفسير الوقائع و الأحداث التي تتعارض مع آرائهم المحددة سلفاً، فقد يعتقد المتعصب مثلاً بأن جميع الأفراد الذين يختلف معهم في الرأي هم كسالى أو أغبياء أو ما شابه ذلك، دون التأكد من هذه الأحكام والتيقن من صحتها، وبذلك فإن هذه الشخصيات عادة ما تحمل حقداً على كل من يتعارض معها في الرأي، أو يتناقض معها في الاتجاه، فهي شخصيات عدوانية متسلطة ومتعصبة ضد الآخر وليس لديها خيال ولا تحمل إلا فكراً متجمداً "وطفة: 2002، 29".

والتعصب بحسب رأي (علي سعد وطفة) عبارة عن تصورات مسبقة، مرتبطة بذهن الفرد تأخذ شكل النمذجة المتعصبة التي يصنف فيها الناس إلى صفات مختلفة دينية وعرقية واجتماعية تنسب إليها مجموعة من الخصائص التي تصف كل جماعة بأوصاف محددة كالخيانة والغدر والإلحاد والخسة، وهذه التصورات النمطية هي تصورات مشوهة لا تعبر عن الواقع، وتتصف بوجود فجوة صغيرة أو كبيرة يكتسبها الطفل عبر تركيبته الثقافية من خلال آليات التنشئة سواء في أسرته أو في محيطه الاجتماعي الآخر "وطفة: 2002، 82".

تعريف التعصب:

عرف التعصب بأنه "التفكير السيء عن الآخرين دون دلائل كافية" "حسن: 2001، 317".

وقد عرفته ليلى داود بأنه"اتجاه نفسي يقوم على أساس أحكام مسبقة وإدراكات ومعتقدات تتعلق بشخص ما أو جماعة أو مبدأ معين، ولا يستند إلى معرفة كافية أو حقيقة علمية ""داود: 2005، 247".

ويرى (شريف وشريف) بأنه"اتجاه سلبي يتبناه أعضاء جماعة معينة يستمد من معاييرها القائمة ويوجه نحو جماعة أخرى وأعضائها الأفراد"عبد الله، خليفة: 2001، 515".

أما"كلينبرج"فإنه يرى التعصب بأنه "مشاعر أو استجابات خاصة تميز بعض الأشخاص، وتكون سابقة بحدوث الخبرات الواقعية، ولذلك لا تقوم على أساسها، وهي ربما تكون إيجابية أو سلبية، وتوجه نحو أي من الموضوعات العديدة المتنوعة""عبد الله: 1989، 50".

ويعرفه "سيمون وينجر" بأنه اتجاه انفعالي متصلب نحو جماعة من الأشخاص "عبد الله، عبد اللطيف: 2001، 519".

يتضح من التعريفات السابقة أن التعصب يحمل الدلائل الآتية:

1 – هو حكم مسبق ينطوي على عدم توافر الحقائق لإثباته.

2 – هو سلوك مكتسب وليس فطريا، يتم اكتسابه من البيئة الاجتماعية، فالطفل لا يولد ولديه سلوك عدواني ضد أي أحد من الأفراد.

3 – يشبع التعصب حالة نفسية لا شعورية قد ترتبط بالتبرير والفشل في مواقف الحياة.

4 – يقوم على تبخيس الآخر والحط من شأنه والتقليل من قيمته.

5 - يأخذ صوراً متعددة، فقد يكون إيجابياً حينما يتعصب الفرد لجماعته الدينية أو العرقية أو السياسية، وقد يكون سلبياً عندما يتعصب الفرد ضد الآخر "فرد أو جماعة أو مجتمع".

6 - ينفي التعصب كل علاقة مع الآخر يمكن أن تفتح باب الحوار والنقاش أو تقلل من حدة درجة الاختلاف والخلاف.

اكتساب التعصب:

كيف يكتسب التعصب ؟

لا يمكن أن يكون اكتساب التعصب سلوكاً فطرياً أو غريزياً ينشأ مع الإنسان ويولد معه، كما تنشأ بعض الغرائز الفطرية الأخرى التي تتحكم في سلوكه وتصرفاته، فالتعصب هو سلوك اجتماعي متعلم ومكتسب ينشأ من رحم البيئة الاجتماعية والثقافية، ويترعرع في حضنها، ويمتد عبر آليات التنشئة الاجتماعية وممارساتها اليومية فيكتسب سلوكه من طبيعة المواقف والخبرات التي يتعرض لها الفرد في محيط التنشئة، وينمو مع نمو الفرد وثقافته التي يكتسبها من خلال عمليات الاتصال والتواصل مع الآخرين، فيصبح في النفس اتجاهاً وسلوكاً، يصعب مقاومته والتغلب عليه، خاصة إذا تعود الفرد على ممارسته، وتهيأت له الظروف الملائمة لشروطه، فمواقف الإحباط والفشل في الحياة، وعدم تحقيق الطموحات وتلبية الحاجات الأساسية هي أعراض طبيعية لهذا المرض النفسي، وهي مظاهر سيئة تخفي وراءها الكراهية والحقد والعدوان الذي هو سمة من سمات التعصب ومكوناته الأساسية. فإذا نشأ الفرد في محيط اجتماعي ملوث بثقافة التعصب ونفي الآخر فرد أو جماعة أو مجتمع فإنه يكتسب هذا الشعور وقد يدافع عنه وفي أحيان كثيرة يمارسه ولو بدون وعي منه.

فالفرد منذ نشأته الأولى في الأسرة يتعلم السلوك ويكتسب مواقف الأسرة واتجاهاتها وفي أحيان كثيرة يصبح مدافعاً عن آرائها وتوجيهاتها، ويتعلم فيها كل أشكال السلوك الإيجابي والسلبي، وقد تدفعه تصرفاتها إلى ممارسة التعصب، وتبث فيه روح العداء والكراهية ضد بعض الأفراد أو الجماعات، وقد تلجأ أحياناً إلى معاقبته إذا رفض سلوكها أو خالف تصرفاتها.

فالتعصب هو سلوك اجتماعي ينتقل من جيل إلى جيل ومن الكبار إلى الصغار، يتعلمه الأطفال منذ سن مبكرة في الأسرة وفي كل مؤسسات المجتمع الأخرى سواء بطرق مباشرة أو غير مباشرة، تدعمه الأسرة في أعرافها، وتشرف عليه وتراقبه في أطفالها حتى ينمو ويشتد، ويصبح اتجاها مميزاً عبر سلسلة من الأفعال والتصرفات المتراكمة التي يلاحظها الطفل ويعيشها في أسرته ومن مظاهر اكتساب التعصب اجتماعياً رفض بعض الأسر لأطفال الإناث اللعب مع الأطفال الذكور ممن هم في نفس السن، وكذلك رفض بعض الأطفال البيض اللعب مع الأطفال السود، ومنع التزاوج بينهم في الكبر، واحتفاظ بعض الأسر بأعرافها وأديانها وعدم السماح لغيرهم من الأسر الأخرى بالاختلاط والمصاهرة، حفاظاً على نقاوة الدم والأصل كما أن النعوت التي تستخدمها بعض الأسر ضد غيرها بقصد الإساءة إليها والتنفير منها تعد من عوامل التعصب التي يستقيها الطفل ضمن عمليات التنشئة الأسرية التي يتعرض لها في أسرته، وهي بمثابة توجيه للسلوك الذي يلاحظه من قبل الكبار، مما يجعل الطفل يقلد هذا السلوك ويكتسبه، ومن ثم يمارسه ويصف غيره به، فيتكون لديه هذا الاتجاه ويستقر في ذهنه ويقتنع به وينقله إلى أخوته وإلى من هم أصغر منه في الأسرة، وبذلك تترسخ قيم التعصب وتتأكد في نفوس النشء وتستمر.

وليس كل الأسر وحدها المسئولة عن اتجاهات التعصب وإكسابه لأطفالها فقط، بل إن مؤسسات المجتمع الأخرى تعلب الدور نفسه، فالمدرسة قد تنقل هذا السلوك لأبنائها عبر المقررات الدراسية عندما تقف متحيزة مع فئة ضد أخرى يراد بها التشكيك في قدرتها أو النفور منها، وغرس قيم مضادة ضدها بغية التشهير بها والقضاء عليها، وقد تصف تلك المقررات بعض المجتمعات أو الجماعات الإنسانية بالإرهاب والعنف والتطرف بهدف الإساءة إلى سمعتها، وخلق مبررات نفسية تعطي الحق لنفسها في القتل والتشريد، وهي نفسها تمارس التعصب وترسخه دون وعي منها كما هو الحال حينما يوصف الشعب الفلسطيني الذي يريد تحرير أرضه من دنس المستعمرين الصهاينة بالإرهاب أو تلتجئ بعض الجماعات الدينية أو المجتمعات العربية إلى مقاومة المستعمر ورفع الظلم والعدوان عنها كما يحدث في العراق والصومال وأفغانستان وغيرها من أرجاء الوطن العربي الأخرى؛ ولهذا تعد المدرسة بمناهجها التربوية وأدواتها التعليمية



أحياناً محرضة على العنف والتعصب، وفي أحيان أخرى تعيد إنتاج الكراهية والحقد لصالح فئة دون أخرى ما لم يتم إعادة النظر في تقديم خططها ورسم سياستها من جديد، بما يتلاءم مع قيم الحق والعدل والمساواة.

ومن الطرق الأخرى التي يكتسب بها الطفل اتجاهات التعصب، جماعة الأقران التي تحتضنه، فيتعلم منها كل قيم السلوك ومعاييره، وقد تتضمن تلك القيم المتعلمة سلوك التعصب الذي تبديه تلك الجماعة ضد جماعة أو جماعات أخرى من خلال الإشارات الصادرة منها والرموز والتفاعلات التي تظهرها أثناء الاحتكاك بها، خاصة إذا رفعت تلك الجماعة في سلوكها إشارات تحمل الكراهية والغبن ضد جماعات أخرى، تنفر منها أو تحتقرها وهو ما يدفع ذلك الأفراد بمرور الوقف إلى مزيد من الحقد والبغض، ويظهر في شكل اتجاهات تعصبية تكبر كلما تبوأ الفرد مكانة اجتماعية أو سياسية يؤثر بها على قيم المجتمع واتجاهاته، ويبدو ذلك واضحاً حينما يلقن بعض الأفراد تلك الاتجاهات لأفراد المجتمع من خلال وسائل الإعلام التي تتبنى تلك الاتجاهات وتحافظ عليها.

ولا شك فإن لوسائل الإعلام دوراً كبيراً في التأثير على آراء الناس وتوجهاتهم ضمن ما تنقله من أفكار وما تبثه من حكايات وقصص ومشاهد درامية مرئية، وما تعرضه من صور وتعليقات وأخبار لها تأثير شامل في معنويات الأفراد وإكسابهم اتجاهات معينة تجاه فئات محددة أو شخصيات معينة يراد بها الزج في قضايا وأحداث غامضة، ربما يراد منها التستر عنها أو إلصاق التهم بها بهدف الإساءة إليها، ومن ثم تكوين اتجاهات تعصبية نحوها تستهدف في النهاية التخلص منها وإقصاءها من الوجود أو على الأقل إبعادها من مسرح الحياة الاجتماعية والسياسية.

وتلعب المؤسسات السياسية الدور نفسه في إقصاء بعض الجماعات ووصفها بنعوت سلبية ضمن خطط ممنهجة يراد بها الحياد السياسي وتغييب دورها في المشاركة السياسية ووصفها بالتصلب والإرهاب، إما للخوف منها أو على الأقل ترضية لبعض السياسات الاستعمارية التي توصف تلك الجماعات بالإرهاب والتعصب كما هو الحال في فلسطين ولبنان واليمن وغيرها.

وقد يتخذ التعصب مظهرا دينياً حينما تستأثر المؤسسات الدينية بالدعوة إلى قتال بعض الفرق والمذاهب الخارجة عن الدين والقانون، أو الداعية إلى محاربة بعض أبناء الأديان الأخرى للاختلاف في الرأي أو العقيدة، والدعوة إلى إصدار الفتاوى التي تحرض على التعصب وهدر الدماء وقتل الأرواح، ووصف المارقين عن الدين بالخيانة والغدر. وقد يكون اكتساب التعصب قبلياً أو طائفياً أو عرقياً حينما ينشأ الطفل على ثقافة معينة تمجد قيم التعصب القبلي أو الطائفي أو العرقي ويتم تفضيل جماعة على أخرى إما بسبب المركز الاجتماعي أو السياسي أو الديني أو بسبب العرق والأصل أو الانتماء إلى طائفة ضد أخرى، أو بسبب الجنس واللون وغيرها من عوامل التفضيل التي تغرس الكراهية وتبث الفرقة والانقسام وتخلق الغبن والتعصب.

تلك هي أهم ملامح اكتساب التعصب التي قد ينشأ عليها الطفل في أسرته أو مجتمعه حينما يراد للمجتمع الشر والدفع به نحو الهلاك والخراب، وهي من أهم مؤشرات نواقيس الخطر التي قد تدق في آذان وعقول بعض الأفراد في المجتمع؛ ولذا يستوجب من أبناء المجتمع وكل فئاته وعناصره المختلفة بدءاً من الأسرة وحتى مؤسسات المجتمع الرسمي الانتباه لتلك المؤشرات، والعمل على مقاومتها والتصدي لها، لضمان بناء المجتمع والمحافظة على وحدته وكيانه وأمنه.

التعصب وعلاقته ببعض المفاهيم:

أ- التصلب:

يتداخل مفهوم التصلب مع مفهوم التعصب في الجانب المعرفي من السلوك، فإذا كانت أفكار المتعصب تتكون من المعارف والمدركات والمعتقدات التي يكونها الفرد عن جماعة أخرى أو مجتمع آخر في إطار محتوى الثقافة التي يكتسبها، فإن التصلب يكون أكثر عمقاً وأشد تعصباً في إدراك الفرد لمحتوى المعارف والمعتقدات التي يؤمن بها ويعتقد بصحتها؛ ولهذا فإن درجة شدة الفرد المتصلب ضد الآخر أياً كان هذا الآخر فرداً أو جماعة أو مجتمعاً أقوى من درجة شدة الفرد المتعصب في الموقف نفسه؛ لذلك يصعب تغيير اتجاهات الفرد المتصلب والدفع به نحو التسامح إذا ما تم استخدام نفس الجهد المبذول

معه في إقناع الفرد المتعصب، فالمتصلب مثلا يمكن أن يصدر حكمه القاتل ويعممه على جميع الأفراد السود دون استثناء، بينما يميز المتعصب هذا الحكم على فئات من السود دون أخرى. لذلك فإن المتعصب أخف وطأة وأقل حدة من المتصلب، فهو قد ينظر إلى المتدين المسيحي مثلاً بمعيارين مختلفين أحدهما المتدين المسيحي الأبيض والآخر المتدين المسيحي الأسود رغم أن كل منهما يمارس الدين المسيحي بطريقة واحدة ويعبد نفس الإله إلا أنه يعتقد أن مسيحية الأسود تنبع من الخرافة بينما مسيحية الأبيض تنبع من اعتبارات مذهبية "معوض: 2000، 333".

ب- التمييز:

يرتبط التمييز بالجانب السلوكي للتعصب وهو يعني الأفعال السلوكية والتصرفات والعلاقات التي يقوم بها المتعصب ضد غيره من الأفراد الآخرين؛ ولذلك فهو يعد وجهاً من وجوه التعصب وشكلاً من أشكال المعاملة المتحيزة ضد الآخر، وهذا السلوك يتسم بالاستعلاء وعدم المساواة مع الغير؛ لذلك فهو يأخذ صفة الفعل السلوكي الناشئ من اتجاه التعصب ذاته وهذا يعني أن التعصب اتجاهاً بينما يعد التمييز سلوكاً عملياً له ونتيجة من نتائجه، ولذلك فإن مفهوم التعصب مفهوم يحتوي على التمييز ويتضمنه في جوانبه الإيجابية والسلبية، فالتمييز العنصري الذي كان يمارسه البيض على السود في جنوب أفريقيا، ويمارسه الصهاينة ضد الفلسطينيين العرب هو أيضاً شكل من أشكال التمييز العنصري الذي يرمي إلى منع الآخر وحرمانه من كل حقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية.

جـ- العصبية:

يختلف مفهوم العصبية عن مفهوم التعصب رغم تقارب المعنيين في اللفظ، فالعصبية تعني جماعة محددة تربطها رابطة قوية تقوم على صلات الدم والقربى، وتجمع بينها وحدة المصالح المشتركة سواء كانت مادية أو اجتماعية، وهي تمثل انتماء سيكولوجيا يجمع الأفراد بعضهم بالبعض الآخر وتربطهم عوامل نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية توحد شعورهم وتحمي وحدتهم النفسية، وتكون لديهم اتجاهاً إيجابياً يعمل على تضامنهم وتوحدهم. وقد تتحول العصبية إلى تعصب، وفي هذه الحالة يتخذ التعصب اتجاهاً سلبياً

خاصة إذا ارتبط بالتحيز واعتمد على اعتقادات غير إيجابية ربما تكون ضارة لفئات أو جماعات أخرى، وفي هذه الحالة لا يوجد اختلاف بين العصبية والتعصب، فالعصبية الداخلية تعمل على تماسك وحدة الجماعة ذاتها، بينما التعصب الخارجي مع الغير يخلق التنافس ويظهر الكراهية والعدوان.

د- العدوان:

يقصد بالعدوان من وجهة نظر التحليل النفسي سلوك فطري يعبر عن غريزة الموت ويتخذ اتجاهات مختلفة إما داخلية بهدف تدمير الذات وإما خارجية بهدف تدمير الأشياء والأفراد "حسن:2001، 339"، وفي كل الأحوال فإن العدوان سلوك يستهدف إثارة غريزة القتال بهدف إشباع اللذة وتجنب الألم وإيقاع القسوة على الآخر، وهذا السلوك الفطري موجود لدى كل الأفراد ولكن تتباين نسب ظهوره والتحكم فيه، فبعض الأفراد يحملون نوازع سادية موجهة نحو الآخر وبعضهم الآخر يحمل نوازع مازوشية موجهة نحو الذات والنوع الأول من السلوك هو المثير لاستجابة اتجاه التعصب.

ولهذا فإن مفهوم التعصب يتداخل مع مفهوم العدوان في الجانب الوجداني من مكونات التعصب، وقد يتطور في شكل سلوك ظاهر يتسم بالعدوان على الغير إذا استهدف إثارة القلق والإحباط في النفس، وقد يكون العدوان لفظيا بقذف الآخرين بألفاظ تنطوي على السخرية والتهكم أو بدنيا باستخدام أفعال سلوكية تضر بالجسم. فالتعصب ناشئ من الإحباط والإحباط سبب من أسباب العدوان، وبهذا تكون العلاقة بين التعصب والعدوان.

هـ- العنف:

هو نمط من أنماط السلوك البدني الذي يتصف بالشدة والقوة في معاملة الآخر، وهو كالتعصب من حيث فعله، يصدر من الفرد ويهيج سلوكه بسبب ما يتعرض له من إحباطات نفسية تحركه مكامن الخوف والقلق، مما يثير لدى الفرد استثارة العدوان والعنف، ومن ثم يصبح سلوكاً اجتماعيا ضد فئة أو جماعة معينة من الناس، فهو الوسيلة التي يستخدمها

المتعصب في التعبير عن تعصبه. وبهذا فإن سلوك العنف يزداد بازدياد حدة التعصب وقوته وينتقل عن طريق الاتجاه الذي يحركه العقل الجمعي ويثير مكامنه.

مكونات التعصب:

يشتمل اتجاه التعصب على ثلاثة مكونات أساسية تسهم في بروزه وهي:

أ- المكون المعرفي:

وهو يعني كل الإدراكات والمعتقدات والتوقعات التي يعتقدها المتعصب ويصدقها في الجماعة التي يتعصب ضدها وهذه الأفكار تأتي ضمن سياق الفهم الناشئ من الخبرات التي يتحصل عليها المتعصب ويرسخها في ذهنه إما بشكل مباشر من خلال التعامل الذي يقيمه مع الآخرين أو ضمن الصور الذهنية التي يتلقاها بشكل غير مباشر مع الغير.

ب- المكون الوجداني:

وهو يعني كل المشاعر والأحاسيس التي يحس بها الفرد المتعصب ضد من يتعصب له، وهذا يعني احتمال أن يكون المكون الوجداني إيجابيا وقد يكون سلبياً، فإذا تعصب الفرد لجماعته مثلاً فإنه يحمل الاتجاه الإيجابي الذي يعني صفة الإعجاب والافتخار والتوحد مع جماعته، أما إذا كان اتجاه التعصب سلبياً فإنه يحمل المشاعر السلبية التي تتمثل في الازدراء والخوف والحسد والاغتراب للجماعة التي يتعصب ضدها "عبد الله:1989، 53".

جـ- المكون السلوكي:

يعتمد المكون السلوكي على الجمع بين المكون المعرفي والمكون الوجداني، فإذا اجتمع المكونان السابقان يظهر المكون السلوكي في شكل سلوك ظاهر يتخذه الفرد المتعصب نحو الجماعة التي يتعصب ضدها ويبدو ذلك واضحاً في المواقف التي يصدرها ضد تلك الجماعة، إما محاولة الانسحاب منها وعدم التعامل معها، أو استخدام أسلوب العدوان والعنف ضدها، وفي كل الأحوال فإن المكون السلوكي يندرج ضمن مراحل مختلفة تبدأ من الامتناع اللفظي للتعصب وهي أقل درجة فيه إلى أشد درجة وهي الإبادة الجماعية

والإفناء، وليس بالضرورة أن يمر المتعصب بهذه المراحل حتى يصل إلى المرحلة النهائية "عبد الله:1989، 66، 69".

الاتجاهات النظرية المفسرة لنشأة التعصب:

تعددت وجهات نظر علماء النفس في تفسيرهم لنشأة التعصب وتكوينه واتخذت هذه التفسيرات منطلقات مختلفة بعضها أكد على الظروف الذاتية للفرد بسبب ما يتعرض له من تأثيرات نفسية مصحوبة بالقلق والإحباط، وبعضها الآخر أكد على الظروف البيئية التي يتعلم فيها الفرد المتعصب ويكتسبه، أما الاتجاه الثالث فهو يجمع بين الرأيين ويعتبر التعصب أساسا لعوامل ذاتية وبيئية متفاعلة فيما بينها، وهناك اتجاهات أخرى ترى التعصب ناشئا من مصادر أخرى ذات علاقة بتباين النوع المتعصب نفسه، وهذا يعني أن أي اتجاه من هذه الاتجاهات تقف عاجزة بنفسها عن تفسير التعصب تفسيراً شاملاً، فالعوامل المسببة لتفسير التعصب متعددة ومتشابكة وكل منها تنظر إلى اتجاه التعصب من زوايا مختلفة، ولفهم السلوك البشري يجب الاهتمام بكل التفسيرات السببية المؤدية لمعرفة التعصب وفهمه. وفيما يلي تلك الاتجاهات:

أ- اتجاه نظرية الإحباط:

تعد هذه النظرية من النظريات النفسية المتعلقة بالفرد ذاته، فهي ترى أن التعصب ينشأ بسبب عوامل ذاتية معينة توجد من الفرد نفسه وتمارس تأثيراتها في تصرفاته المختلفة. فالفرد المتعصب قد يجد نفسه مدفوعاً بطرق لا شعورية لممارسة التعصب وإسقاطه على الغير بسبب ما يعتريه من حالات انفعالية تسبب له الإحباط والعدوان ويجد فيها متنفساً للتعبير عن انفعالاته المكبوتة، وبذلك فإن التعصب في هذه الحالة يقوم بوظيفة نفسية تؤدي إلى حالات من التفريغ الوجداني الذي يثير القلق والاشمئزاز ويدفع فيما بعد إلى الراحة والهدوء خاصة حينما تجد تلك المكبوتات طريقها نحو المجتمع أو بعض من فئاته التي يسقط عليها كل عوامل الإحباط والفشل وقد تتمثل تلك الفئات في بعض الجماعات العنصرية أو الأقليات الدينية أو العرقية التي تكون بمثابة كبش فداء لتصرفات المتعصب وسلوكه. وقد يرى المتعصب في رجل الشرطة الذي يقوم بهذا الدور وسيلة بديلة له تعبر

عن إسقاطاته تجاه تلك الفئة أو الجماعة التي يتعصب ضدها، وينظر علماء النفس إلى هذا الاتجاه بأنه اضطراب في الشخصية التسلطية ذات الدوافع العدوانية المرضية التي تنشأ بسبب الميول العدوانية المكتسبة من أساليب التنشئة الاجتماعية التي تمارس على المتعصب منذ سن مبكرة من عمره مما ينمو لديه هذا الشعور، ويميل إلى تكرار كل الخبرات السيئة التي تعرض لها في نشأته الأولى.

ب- اتجاه نظرية التعلم الاجتماعي:

يعتقد مؤيدو هذا الاتجاه أن التعصب ينشأ بسبب الظروف البيئية المتعلمة التي يكتسبها المتعصب من المحيط الاجتماعي الذي ينشأ فيه، إذ يكتسب المتعصب هذا السلوك ويتعلمه من الوالدين والأقارب والرفاق وكل المحيطين به في البيئة الاجتماعية والثقافية، حيث يتعلم هذا السلوك من الجماعة التي ينتمي إليها ويشعر بالتفاعل معها؛ لأنها تتميز بصفات معينة تختلف عن الجماعات الأخرى في الدين أو العرف أو اللون وبذلك يصبح مقبولاً في جماعته ويتطلب منه أيضاً أن يتصرف وفق اتجاه الجماعة نفسها، فالتعصب هنا بمثابة معيار ثقافي مكتسب يدعم الاتجاه ويحدده في الجماعة ذاتها، وبمرور الوقت تتراكم الخبرات المؤيدة لهذا الاتجاه وتتعمق في المتعصب من خلال الاقتداء بالنماذج السلوكية المدعومة بالمحاكاة والملاحظة اليومية حتى تصبح اتجاهاً وسلوكاً ثابتاً يدافع عنه الفرد المتعصب ويدعمه ذاتياً.

وتتولى وسائل الإعلام الأخرى هذا الاتجاه، إذ يجد المتعصب نفسه أنه أمام اتجاهات محددة تمارس تأثيراً لا يمكن إنكاره في تشكيل شخصيته التعصبية، وحتى لو اختلفت هذه الاتجاهات مع اتجاهات التنشئة المبكرة فإن الاتجاهات الأقوى هي التي تسود وتكون ذات تأثير عميق في نفس المتعصب "عبد الله: 1989، 124".

ويتم تدعم هذا الاتجاه من خلال نظرية التشريط الكلاسيكي التي تنمي هذا الاتجاه وتدعمه عبر عمليات التدعيم والإثابة أو التنفير الذي يجده الفرد في سلوك جماعته، وقد يتضمن هذا السلوك إشارات ضمنية تعبر عنها بعض الكتب أو الحكايات والقصص وغيرها من الإشارات الضمنية التي تحدد الاتجاهات وتدعمها أو تحد منها وتقلل من فاعليتها "عبدالله: 1989، 126".

ويولد التعصب في المجتمعات التي تنشأ فيها التناقضات الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية وغيرها، إذ يجد الفرد المتعصب نفسه في خضم هذه التأثيرات التي تولد فيه الكراهية والعدوان ضد جماعات أو فئات أخرى يقتبس منها مشاعر التعصب والعداء بسبب ظروف القهر والفقر والتمييز التي تؤدي إلى ولادة تلك المشاعر في المجتمع "وطفة:2002، 48".

جـ- اتجاه النظرية المعرفية:

يهتم هذا الاتجاه المعرفي بأشكال السلوك المختلف بين الجماعات من خلال العمليات المعرفية التي تحدد أفكار الفرد عن جماعته التي ينتمي إليها والجماعات الأخرى التي لا ينتمي إليها في تشكيل اتجاهات السلوك التعصبي بين الجماعات المختلفة، ويتم هذا الاتجاه عبر إدراك الفروق في دراسة القوالب النمطية التي يكونها المتعصب ويتحيز فيها لجماعته ضد الجماعات الأخرى، أي أنه يقوم بدور التمييز من خلال التصورات العقلية التي توجه سلوكه ضد الأفراد والأحداث الاجتماعية الأخرى، وتهتم هذه النظرية بتطبيق أدوات ومناهج البحث المعرفي ومقاييس زمن الرجع والاستدعاء التي تكونها العمليات الإدراكية والانفعالية للتمييز بين الفئات والجماعات المختلفة في ذهن المتعصب "عبد الله: 1989، 112".

فحينما يقوم الفرد المتعصب بتكوين انطباع معين عن فرد أو جماعة ما فإن ذلك يؤدي إلى تشوهات في الإدراك المعرفي له يجعله يستجيب استجابات فطرية لمعظم المنبهات السائدة التي تؤدي إلى حدوث التعصب وتكوين القوالب النمطية ضد أولئك الأفراد أو الجماعات. ومعنى هذا أنه لا يمكن فهم الأسس السيكولوجية بين الجماعات والأفراد موضوع التعصب إلا بتحليل المظاهر المعرفية التي تؤثر على إدراك الفرد وتصوراته الذهنية، فالعمليات الإدراكية التي يكونها المتعصب ضد الآخرين تنشأ من خلال عمليات التصنيف الفئوي التي يقوم بها مما يجعله يتخذ مواقف محددة من التفاعل الاجتماعي معها تبرز الفروق الواضحة بينها وتتضح الملامح الغامضة فيها دون تحريف للحقائق "عبد الله: 1989، 113".

وهذا يعنى أن أفراد الفئة الواحدة في إدراك المتعصب يمكن أن تشترك في مصير واحد يقل بينها التمايز ويتحقق فيها التضامن المشترك الذي يحدد نوع الاتجاه التعصبي ضدها بسبب الاشتراك في المواقف الموحدة التي تجمعها، فالافتراض النظري بأن الرجل

الأسود يتسم بالبلادة وعدم المبالاة في العمل مثلاً يؤدي إلى تصور عام لدى كل السود في إدراك المتعصب بأنهم فئة تنسحب عليهم كل الفئات السابقة خلافاً لما يحدث مع الرجل الأبيض الذي يتصف بنفس تلك الصفات، ويعزو ذلك إلى الخبرات المتراكمة التي تحدد توجهات المتعصب و إدراكاته عن الأشياء والأشخاص، كما أن التعميم المبالغ فيه الذي ينسب بعض الخصائص والصفات إلى أشخاص أو فئات محددة سلباً أو إيجاباً ينمي روح التعصب، فوصف جميع النساء بالمكر والخداع أو أن كل الرجال قساة ويتصفون بالعنف سيكون مردوده سلباً على تلك الفئة سواء كان من النساء أو الرجال إلا أن الصفة التي يلحقها المتعصب بأحد هؤلاء الناس تلحق الضرر بكل من ينتمي إلى هذه الفئة، كما أن وصف كل الريفيين بالكرم والشجاعة سيدعم الاتجاه الإيجابي نحو هذه الفئة حتى ولو تناقض مع الواقع، وفي كل الأحوال فإن هذه الاتجاهات سواء الإيجابية منها أو السلبية تساعدنا على فهم تلك الفئة في كيفية التعامل معها إما بالابتعاد عنها أو بالاقتراب إليها مما يسهم في تحديد اتجاه التعصب.

ولهذا فإن تحديد هوية الفرد الاجتماعية عند "تأجفيل" و "فور جاز" تعبر عن مضمون هوية الجماعة نفسها، إذ يمثل الفرد جماعته التي ينتمي إليها في كل قيم الثقافة والتصورات الاجتماعية، وبمعنى آخر فإن الأفراد في عضويتهم في الجماعة يمثلون الجماعة ذاتها ويتم مقارنتها بالجماعات الأخرى عبر الإدراكات التي يكونها الفرد المتعصب في نفسه، وهذا التوحد بين عضوية الفرد في الجماعة وهوية الجماعة ذاتها يخلق مبرراً منطقياً للتعامل معها ويزيد من حدة التمييز بينها وبين الجماعات الأخرى في نوع الاتجاهات التي يقيمها الفرد المتعصب ضد هذه الجماعة أو الجماعات الأخرى. فتقسيم الناس إلى فئات أو مجموعات مختلفة "نحن"- "هم" يزيد من حدة التعصب ويكون مبررا كافيا للتمييز بين الناس.

يتضح مما سبق أهمية العمليات المعرفية المسئولة عن نشأة الاتجاهات التعصبية في الأفراد والجماعات ضمن تحديد التصنيفات الفئوية التي تحددها هذه النظرية وتربطها بنظرية الهوية الاجتماعية إلا أنها لا تخلو من بعض الانتقادات التي وجهت إليها كشأن كل النظريات الأخرى ما يجعل الاعتماد عليها وحدها غير كاف لتفسير نشأة التعصب وأسبابه إلا ضمن تكامل النظريات وتوحدها في تفسيرها لنشأة اتجاهات التعصب وأسبابه.

عوامل التعصب وأسبابه:

التعصب ظاهرة نفسية اجتماعية تظهر جذورها في الفرد وتمتد خيوطها في الجماعة وتتأثر بعوامل نفسية واجتماعية متشابكة مع بعضها البعض تظهر في شكل أساليب مختلفة إيجابية وسلبيه تؤثر على حياة الفرد والجماعة. وفيما يلي العوامل التي تؤدي إلى التعصب.

أ- عوامل ذاتية ذات علاقة بشخصية الفرد:

ترتبط هذه العوامل بالتكوين النفسي للفرد من حيث السمات المزاجية والدوافع المحركة للسلوك التعصبي والاستعدادات التي تؤثر في مستوى السلوك ونوع الرغبات والمشاعر التي تحدد هذا السلوك وتوجهه، وهذه العوامل التي ترتبط بالتكوين النفسي للفرد يمكن أن تؤثر على مستوى سلوك الفرد المتعصب وتدفعه إلى القيام بسلوك معين اتجاه جماعات أخرى بهدف التخفيف من انفعالاته المكبوتة فيسقط مشاعره على الجماعة التي يتعصب ضدها.

ب- عوامل اجتماعية وثقافية ذات علاقة بالبيئة الاجتماعية:

تلعب هذه العوامل دوراً مهماً في التأثير على سلوك الفرد المتعصب وفي اتجاهاته فقد يتأثر الفرد بسلوك أسرته المشجع على التعصب عبر أساليب التنشئة التي تلقاها في الأسرة أو يلاحظها ضمن النماذج السلوكية التي يعيشها، ما يعني تثبيت هذه الاتجاهات وتعزيزها في نفس الطفل منذ سن مبكرة، فقد يسمع الطفل كلاما عن أفراد أو جماعات مكروهة من قبل الوالدين أو الأقارب أو غيرهم، وقد يتبنى سلوك الرفاق ضد أقليات أو جماعات أخرى، وقد يشاهد أحيانا أو يقرأ عن جماعات دينية أو عرقية منبوذة من قبل بعض الأفراد في المجتمع فيشيع في نفس الطفل مشاعر الاشمئزاز والكراهية، ويتحول هذا السلوك إلى غضب وحقد يظهر في اتجاهات الفرد وسلوكه التعصبي إزاء هذه الجماعة أو غيرها، فالنفاق والغدر والغش الذي يتصف به اليهودي على مرار التاريخ مثلا يمثل اتجاهاً سلبياً تتناقله الأجيال من جيل لآخر ووصف التطرف الديني بالإرهاب مثلا، يمثل أيضا اتجاها تعصبيا ضد هذه الفئة، وإطلاق بعض الخصائص والسمات على السود أيضا يمثل اتجاها تعصبياً يخفي وراءه الكراهية لكل من يحمل هذه الصفة أو يتصف بسماتها.

أما أسباب التعصب فقد ذكرها (خليل معوض) في الآتي:

1 - تعدد وتباين الجماعات المذهبية والسياسية و العرقية والثقافية داخل المجتمع الواحد مما ينتج عنه مناخاً خصباً لتعدد الاختلافات ونمو اتجاهات التعصب.

2 - ظهور التنافس الشديد بين الطبقات، وتفاقم الاختلافات بين الأفراد في مجالات العمل المختلفة.

3 - اختلاف النظم الاجتماعية والمؤسسية بسبب التغير الاجتماعي السريع مما ينتج عنه فقدان التوازن والقلق الذي يؤدي إلى حدوث الصراع والتعصب.

4 - انعزال الجماعات داخل المجتمع الواحد، وعدم إتاحة فرص الاتصال بينه وتمسك كل جماعة بآرائها ومبادئها.

5 - غياب الحوار بين الدول وعدم توافر الحقائق والمعلومات الصحيحة عن المجتمعات الأخرى يسهم في غرس بذور الكراهية، ويزيد من حدة العداء، وينمي جذور التعصب.

6 - انقسام المجتمع إلى فئات أقلية وأغلبية، وازدياد حجم ونشاط الأقلية، يثير قلق ونزعات الأغلبية، ويخلق حالة من التعصب ضد الأقلية.

7 - ظهور عوامل التنافس الاقتصادي والسياسي والاجتماعي بين الفئات والجماعات في المجتمع، يؤدي إلى ظهور الصراع ويزيد من حدة التعصب.

8 - الإحساس بالحرمان وقلة الموارد والإمكانات، وعدم التعاون والانسجام بين الجماعات يشجع على التنافر، ويقلل من التجاذب، ومن ثم يغرس بذور التعصب.

الآثار النفسية والاجتماعية للتعصب:

إذا كان التعصب الذي يمارسه الفرد أو الجماعة ضد غيره من الناس سلوكاً مرفوضاً في المجتمع لا يقره ديناً أو عرفاً ولا يسمح به قانوناً فإنه بدون شك يعد ضارًا على حياة المجتمع واستقراره، ومن ثم فإنه يؤدي إلى حدوث التفرقة والانقسام، ويبعث على الكراهية

والحقد بين الأفراد في المجتمع، كما أنه يحيي مشاعر الظلم ويلحق الأذى بالفئات الضعيفة، وبالتالي يشكل خطراً محدقاً على كل الأفراد في المجتمع، لا يستثنى منه أحداً، ولا يتوقع أي فرد في المجتمع أنه محصن منه، فهو كالسيل الجارف الذي يداهم كل ما يقف في طريقه أو يعترض مسيرته، ما يجعله يؤثر في النفس، ويلحق بها آثارا ضارة نفسية واجتماعية تؤدي بالنهاية إلى خراب المجتمع، وتفتيت وحدته، وتجزئته إلى فرق متعارضة وجماعات متقاتلة تنهض جميعها على وحدة الوطن وقوته. وفيما يلي آثار التعصب وخطورته:

أ- على المستوى الفردي:

1 - يؤدي التعصب إلى تكوين نمو الذات السالب لدى الفرد فيشعر الفرد بالعدوانية والنقص والازدراء، ويشعر بالإحباط والفشل في كل مواقف الحياة واتجاهاتها.

2 - يثير التعصب مشاعر الكراهية والحقد بين الأفراد في المجتمع، ويخلق حالة من التبلد والإحساس ضد فئات المجتمع الأخرى.

3 - يؤدي التعصب إلى الخوف من المجهول والهروب من الواقع بالقتل أو الانتحار أو الإدمان على الكحول والمخدرات.

4 - يدفع التعصب الأفراد المتعصبين إلى حب الذات والأنانية ودعم التضحية من أجل الآخرين.

ب - على المستوى الاجتماعي:

1 - يؤدي التعصب إلى التنافس والصراع بين الفئات والجماعات في المجتمع، ويشجع على التقاتل والتناحر ورد الثأر والعدوان.

2 - يعمل التعصب على إثارة النعرات الطائفية والعرقية، ويعمل على تأكيد هويتها وعزلها في المجتمع.

3 - يؤدي التعصب إلى ظهور جماعات وفرق وأحزاب متعددة، وكيانات مختلفة دينية وعرقية تكتسب كل منها اتجاهات وخصائص ثقافية مختلفة، يصعب تجانسها وانصهارها في كيان المجتمع الواحد.

4 - يؤدي التعصب إلى إشاعة الفوضى والظلم، وعدم الاعتراف بحقوق الآخرين.

5 - يقوض التعصب كل بناء تنموي سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يطمح إليه المجتمع ويعمل على تنفيذه.

6 - يفتح التعصب الباب أمام الدول الأخرى للتدخل في شئون البلاد والسيطرة على مقدراتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

مقاومة التعصب:

إذا تمكنت جذور التعصب من الإنسان وألقت بظلالها في نفسه وفي الآخرين فإن محاولات القضاء عليها في النفس الإنسانية يبدو في غاية الأهمية رغم صعوبة المقاومة أو الحد منها، ومع ذلك فإن الجهد الذي سيبذله الإنسان من أجل القضاء على هذا السلوك المشين سيكون مضاعفا حتى إذا توافرت له أسباب الإرادة والقوة؛ ذلك لأن عمق التأثيرات الملقاة في النفس البشرية تحتاج لفترة أطول وعزيمة أكبر حتى يخف التوتر ويهدأ التعصب، ومع ذلك فإنه لا يستحيل العمل على مقاومته، وفيما يلي أهم **المرتكزات التي تستخدم لمقاومة التعصب وتخفيف منابعه:**

1 - توافر الإرادة والعزيمة الصلبة بين الأفراد في المجتمع والقضاء على هذا الوباء الخطير الذي ينهك المجتمع ويفتت أجزائه.

2 - تكوين جمعيات ومؤسسات دينية وخيرية تتعاضد فيما بينها للعمل على تخفيف حدة الصراع الناشئ بسبب التعصب، واختيار قادة وزعماء لها يجمع عليهم كل الأفراد في المجتمع ولم تثبت لديهم اتجاهات التعصب لأي فئة أو جماعة كانت، يكون الهدف منهم لم شمل كل الناس في اتجاه واحد هو صون الوطن والحفاظ على أمنه ووحدته.

3 - إصدار تشريعات قانونية تستهدف ضمان حقوق كل الأقليات والفئات المغبونة في المجتمع وإشراكهم في وحدة الوطن وحمايته.

4 - العمل على معالجة كل آثار التعصب النفسي والاجتماعي، برد الظلم وتعويض الحقوق المسلوبة، ومعاقبة مستغلي ظروف التعصب، والعمل على تخفيف منابعه والانتصار للمظلوم للتخفيف من حدة الآثار النفسية والاجتماعية الملحقة بفئات أو جماعات الغبن التي نالها الإجحاف والظلم الاجتماعي.

5 - العمل على تغيير اتجاهات التعصب وإيقافه وتحويل تلك الاتجاهات إلى اتجاهات ايجابية تضمن للجميع حق العيش والحياة في مجتمع خال من التنافر والتصادم يدين بالاعتراف والتسامح بين الأفراد، ويعتبره قانونا سياسيا واجتماعيا يضمن العدالة للجميع، ويكفل حق المساواة في الحقوق والواجبات لكل أفراد المجتمع.

6 - المساواة في توزيع الثروة والسلطة بين الأفراد في المجتمع، واعتبار ثروة المجتمع ملك لكل أبنائه دون استثناء، وضمان حقوق المشاركة في السلطة واتخاذ القرار السياسي الذي يضمن تلك الحقوق والحريات، واعتبار السلطة السياسية مرهونة بكفاءة الفرد وقدراته لتولي المناصب القيادية في الدولة.

7 - اعتبار كل أفراد المجتمع وفئاته المتعددة مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات لا فرق ولا تفريق بينهم، يخضعون كلهم للمحاسبة، ويكونوا متساوين أمام القانون الذي يكفل لهم حرية الرأي، ويضمن لهم حق الاعتراض والدفاع.

8 - مشاركة كل الأفراد في تنمية المجتمع والإسهام في تطويره وتنميته كل حسب مقدرته وكل حسب قوته لا فرق بين ذكوره وإناثه.

9 - العمل على إزالة كل حدود العزلة بين الفئات والجماعات المتصارعة، ومد خيوط التواصل والتسامح، والعمل على نبذ الفرقة والانقسام عبر وسائل الإعلام المختلفة التي تعمل على كبح جذور التعصب ومقته، وفتح جسور الحوار والتواصل البناء الذي يخفف من حدة مشاعر الكراهية و يقرب المسافات الاجتماعية.

10 - العمل على تقريب وجهات النظر المختلفة بين الفئات أو الجماعات المتصارعة واعتبار الحاضر جزء من المستقبل وليس من الماضي وردم كل اتجاهات الماضي المتعارضة ونسيانها، وعدم التعرض لكل مواضيع الخلافات والاختلافات السابقة.

11 - التركيز على المقررات الدراسية في مختلف سنوات الدراسة لنبذ الفرقة والتعصب لأي رأي أو دين أو عرق على حساب فئات المجتمع وجماعاته الأخرى، وتكوين رأي عام موحد يأخذ في حسابه كل فئات المجتمع وأطيافه الاجتماعية الأخرى، وإعادة تربية النشء في الأسرة وفي مؤسسات المجتمع الأخرى بما يتلاءم وصون حقوق الوطن واعتباره بيتاً للجميع لا يسمح لأحد المساس به، أو النيل من كرامته، أو تهديد لأي من مواطنيه.

المراجع

1 - أبو جادو، صالح محمد: **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، دار المسيرة، ط2 ، عمان ، الأردن ، 2000.

2 - أبو عرقوب، إبراهيم أحمد: **سيكولوجية الإشاعة**، المكتبة الوطنية، عمان، الأردن. 1994.

3 - أبو مغلي، سميح وآخرون: **التنشئة الاجتماعية للطفل**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن ، 2002.

4 - الرضا، هاني، عمار رامز: **الرأي العام والإعلام والدعاية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان 1998.

5 - العيسوي، عبد الرحمن: **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، دار الفكر الجامعي، مصر "بدون تاريخ".

6 - القذافي، رمضان محمد، والدويبي، عبد السلام بشير: **علم النفس الاجتماعي**، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، 1999.

7 - تركية، بهاء الدين: **علم الاجتماع العائلي**، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

8 - الكاتبي، محمد، عزة عربي: **تسلط الزوج وأثره في التوافق الزواجي**، دراسة في جامعة دمشق، منشورات كلية التربية، سوريا، 2004.

9 - حجاب، محمد منير: **الحرب النفسية**، دار الفجر للنشر والتوزيع ، 2005.

10 - حدية، مصطفى، ترجمة محمد الشيخ: **التنشئة الاجتماعية والهوية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1996.

11 - حسن، الحارث عبد الحميد، دايني، غسان حسين: **علم النفس الأمني**، الدار العربية للعلوم، 2006.

12 - حسن، محمود شمال: **سيكولوجية الفرد في المجتمع**، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001.

13 - داود، ليلي خليل: **علم النفس الاجتماعي والعسكري**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2003.

14 - داود، ليلي خليل، الأصفر، أحمد عبد العزيز: **الجماعات وخصائص التفاعل الجماعي**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2005.

15 - داود، ليلي خليل، الأصفر، أحمد عبد العزيز: **السلوك الاجتماعي خصائصه ومظاهره**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2009.

16 - ربيع، محمد شحاته: **علم النفس الحربي**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

17 - شريف، السيد عبد القادر: **التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة**، دار الفكر العربي، 2002.

18 - صوالحة، حوامدة: **أساسيات التنشئة الاجتماعية للطفولة**، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، 1994.

19 - عبد الله، معتز سيد: **الحرب النفسية والشائعات**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.

20 - عبد الله، معتز سيد: **الاتجاهات التعصبية**، عالم المعرفة الكويت، 1989.

21 - عبد الله، معتز سيد، خليفة، عبد اللطيف محمد: **علم النفس الاجتماعي**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2001

22 – قنون، علي: "بدون تاريخ" الحرب النفسية.

23 – معوض، خليل ميخائيل، **علم النفس الاجتماعي**، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية، مصر، 2000.

24 – مكلفين، روبرت، غروس، رتشارد، ترجمة ياسين حداد وآخرون: **مدخل إلى علم النفس الاجتماعي**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2002.

25 – نعامة، سليم: **علم النفس العسكري**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2002.

26 – وطفة، علي أسعد: **التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الإمارات العربية، 2002.

27 – وطفة، علي أسعد، الشهاب، علي جاسم: **علم الاجتماع المدرسي بنيوية الظاهرة المدروسة ووظيفتها الاجتماعية**، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع والإعلان، بيروت، 2004.



- الدكتور :مصطفي صالح الأزرق .
- من مواليد 1958 ليبيا.
- حاصل على درجة البكالوريوس في الخدمة الاجتماعية من جامعة طرابلس 1984.
- حاصل على درجة الماجستير في الخدمة الاجتماعية في جامعة طرابلس في 2000 .
- حاصل على درجة الدكتوراه في علم النفس من جامعة دمشق في 2008 بتقدير ممتاز.
- أستاذ مساعد بكلية الآداب والتربية جامعة ناصر .
- رئيس قسم علم النفس بالكلية.
- عضو الجمعية الليبية للصحة النفسية .

هذا الكتاب

يتناول بعض موضوعات علم النفس الاجتماعي في قالب جديد يجمع بين اتجاهاته النظرية وتطبيقاته العملية التي يستفيد منها القارئ العادي والباحث المتخصص بأسلوب سلس يفهمه كل منهما كما انه يسلط الضوء عن البدايات [illegible] النفس الاجتماعي وتطوره ويكشف عن موضوعات جديدة في علم النفس [illegible] تتناول السلوك الاجتماعي الإنساني وتحلله في محاولة جادة لتوظيف [illegible] النظرية وربطها بالواقع العملي .

ويطمح هذا الكتاب أن يكون دليلا يسترشد به طلاب الجامعات و[illegible] نقصاً في تخصصات العلوم السلوكية الاجتماعية.



I.S.B.N. 977-10-2794-8



دار الكتاب الحديث

